

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)
MARCH - APRIL - 1997

إصدارات جديدة :

العنوان الـ ٢٧

للعلامة الشرف عبد الحفيظ الدين حسني النوذري

أمين ندوة العلماء العام السادس

قدم له

سمو الشيخ العلامة أبو باسم حسني النوذري

راجع لصوصة وخرج أحاديثه وسلوقي عليه،

بلال عبد الحفيظ حسني النوذري

الناشر

جمع الإمام أحمد بن عرفة الشهيد لأحياء المعارف الإسلامية

دار إنشات، دائرة الشئون الدينية بربى (البند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع في مطبعة باريك أوفرست لكتاؤ

من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير: سعيد الأعضا



البَشَّارُ إِلَيْكُمْ

مجلة إسلامية شهرية جامحة

في هذا العدد

- ★ الاعجاز القرآني
- ★ معالم التربية في القرآن و السنة
- ★ رؤية الإسلام الواضحة نحو التعليم و التربية
- ★ من أساليب الدعوة
- ★ القرآن الكريم من الوجهة العلمية
- ★ تقديمية من غير تقديم
- ★ الحج عبادة و فلسفة
- ★ دراسة في مصادر السيرة النبوية
- ★ الشريعة الإسلامية و المبادئ الدستورية و المعاصرة

مَسَسَةُ الْإِنْسَانِ
وَالنَّسْرِ

نَدْوَةُ الْعُلَمَاءِ اصْبَرْ - لِكُونْتُو (الهند)

العدد الرابع

المجلد الثاني والأربعون

ذو الحجة ١٤٣٧

ابريل و مايو ١٩٩٧

٨٨٩٣
١٢٣١٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنشأها :

فقد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

العدد الرابع
المجلد الثاني والأربعون
ذو الحجة ١٤١٢ هـ
أبريل - مايو ١٩٩٢ م

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير

سعید الاعظمی
واضم وشید الندوی

الراسلات

يعنوان مكتب البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
صر. ب. ٩٣ - لكانز (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/O NADWATUL ULAMA
P.O. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

فكرة ندوة العلماء
تقوم في مجال الدفاع عن الإسلام ،
ومواجهة تحديات العصر ،
على الإرشاد الرباني :
﴿ وأنعوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾
وفي أسلوب الدعوة إلى الله ، وعرض محاضن الإسلام ،
واقناع العقول ، على الوصية الحكيمية المأثورة :
ـ كلّموا الناس على قدر عقولهم ،
ـ تريدون أن يكتب الله ورسوله ،
ـ وفيما اختلف فيه السلف من مذاهب وآراء ،
ـ على التحقّيق والتطبّيق وإحسان الظن بهم ،
ـ وال manus العذر لهم وترجح ما هو أقرب بالكتاب والسنة ،
ـ وأقرب إلى جمع الشمل ، وأبعد عن الفرق والتنازع ،
ـ وأقرب إلى مصلحة الإسلام الاجتماعية ،
ـ وبالجملة فهي أقرب

إلى مدرسة حكيم الإسلام الشيخ عبد الرحيم

المعروف بولي الله الدهلوi ، المتوفى ١١٦٦ هـ

العلمية والفكرية والكلامية والفقهية .

وبذلك فندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة ،

أكثر عن مركز تعليمي يقتصر على تعليم الكتب ،

أو العلوم واللغات .

(أبو الحسن علي الحسني الندوی)

في "منهج ندوة العلماء"

حضرات أخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
و بعد فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا
ال توفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في
خدمة العقيدة والفكير وفي مجال البعث الإسلامي ،
بطريق مجلة "البعث الإسلامي" التي تجتاز
الآن عاماً الثاني والأربعين ، راجياً
من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم وبروح
من الاستقامة والصمود ، وثبتات على هذه
الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة وأوضاع متآزمة
تمر بها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم في
كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله ومشيته استطعنا أن
ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كابراما
ويسر بها القارئ الكريم ، ولا يخفى عليكم أن
تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بخلاف أسعار الورق
والطباعة و أجور العمال ، فنرجوا أن يتكرم
كل أخ كريم يبذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة
وتوسعة نطاق المشاركين الجدد فيها ، ويشاطرنا
في أداء بعض الواجب الذي تحمله الآن ،
ويسمح لنا بزيادة قليلة في قيمة الاشتراكات .

و التحدبات تتجدد كل يوم ، وهي تذكرة
بشر مستطير ، فنرجوا أن تتعاونوا معنا على كل
جهة ، و لكم شكرنا وتقديرنا .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .



الاشتراكات السنوية :

- ★ في الهند : مائة و خمسون
- (١٥٠) روبيه : مائة و خمسون
- ـ مائة و خمسون
- ★ في العالم العربي وفي جميع دول العالم .
- ـ دولاراً بالبريد السطحي .
- ـ ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم "البعث الإسلامي" ،
(ALBAAS-EL-ISLAMI)
و ذلك بالعنوان التالي :
مكتب البعث الإسلامي ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
اسكان (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWATUL-ULAMA.
P. O. Box 93, LUCKNOW.
Pin-226 007 (INDIA)

المجلة غير ملزمة
بكل فكر ينشر فيها .

و وضع أمامه رؤية الإسلام الواضحة في بناء الحياة والمجتمع ، وأنهما لا يتكاملان من غير الميزة العلمية والتربوية والمعارف الإنسانية ، ولا غروراً فان عوامل العقل المجرد لا تغنى عن صاحبها شيئاً ولا يتولى رفع مكانته ولا تمنحه ميزة في الحياة ، ما لم يكن العلم مرافقاً له ومرافقاً عليه ، ولقد أدرك هذه النقطة الأساسية المهمة رجال الأمة الإسلامية من أول يومها وأقبلوا على البحث عن ثروة العلوم والمعارف والتنقيب في معادنها ، وركزوا فيها جميع الوسائل والإمكانيات المتوفرة حتى فاقوا علماء الديانات السابقة في اكتشاف سرّ الوجود ، وبيان دور الإنسان في هذا الكون وعلاقته مع الله تعالى ومع الناس على السواء ، وموقفه الصحيح من الحياة والكون .

نتيجة لهذا الاهتمام العظيم بجانب العلم والتعليم والتربية والتوجيه العام الذي ضغط عليه الإسلام ووردت فيه نصوص من الكتاب والسنة ، توجه المسلمين في كل زمان ومكان إلى اكتساب المعرفة الدينية والكونية ، وتجهيز الطاقات التي أودعها الله سبحانه في هذا الكون الواسع الهائل بواسطة العلم والفقه ، ونفع في كل عصر من العصور علماء الإسلام الذين كان لهم الحظ الأوفر من التعمق في أغوار الحقائق العلمية والنزول إلى دقائق المعرفة ، وأسرار الغيب التي تكمن في آيات الله وآثار قدرته في البر والبحر والجو وفي الأرض والسماء : «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذَكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جَنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ۝ سَبَّحَنَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ۝» .

فمن عصر الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - إلى يومنا هذا سجل التاريخ العلمي والديني أعداداً هائلةً لأولئك العلماء الاعلام الذين أخذوا بهذا الحظ الأوفر من العلوم والحكم ، ووصلوا إلى القمة العالمية من النظرة الواسعة

إلى الجزيرة العربية ، وقال تأكيداً لشأن العلم وبياناً لأهميته الكبيرة في بناء صرح الحياة الشامخ والاطلاع الكامل على المسؤوليات والتابعات : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" جعله فريضة كفريضة العبادات التي لا تكتمل الحياة الإسلامية بدونها.

وبعد تأصيل جذور الأهمية لطلب العلم والتحلي بحليته ، وحاجة المسلم الأكيدة إلى العلم وأدواته ، أقبل على معاني التبشير لمن يخرج في طلب العلم والتماس الفضيلة ، ويعرض نفسه في هذا السبيل فقال : "من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتصضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع" ورفع منزلة العالم بازاء الناس الآخرين بل فضل العالم على العابد ، وبين مكانته في الحياة الدنيا والآخرة وأن كل ما في الكون يستغفر ويدعوه ، حتى النملة في جحرها والحيتان في الماء ، وبشر بأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وما هو إلا تراث العلم ، الذي لا يعادله تراث آخر ، ولنقرأ الآن هذا الحديث الصحيح بكلمه :

عن أبي الدرداء ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من سلك طريقاً يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتصضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" . [رواية أبو داؤد والترمذى]

إذن تعين أن العلم هو في الواقع الحظ الأوفر الذي يأخذه المرء بالمجهودات التي يبذلها في هذا الطريق . والمشاق التي يتحملها فيه ، وما هي إلا ميزة الدين الإسلامي الذي أولى هذا الجانب الحي في حياة المسلم اهتماماً كبيراً جداً ،

بأجمل صورة وأكملها ، وليس عصر من عصور التاريخ إلا وقد أثراه رجال كبار من حملة العلوم والمعارف ، كانوا سبباً في تشييد بناء المجتمع الأفضل الذي أراده الإسلام ، والقضاء على جميع الاختلالات والجاهليات التي مرت بها حياة الإنسان في العصور السابقة .

لقد أقام الإسلام دولة العلم والإخلاص واستهدف صلاح الحياة والإنسان بطريق العلم ، وتأسيس المؤسسات العلمية والتربية وتنسيق حلقات التعليم وال التربية ، والحدب على طلبة العلم والباحثين عن المعرفة ، وتوفير كافة الوسائل التي تساعدهم على متابعة دروس الفضيلة والمكارم ، ونشأت جماعات من أهل العلم والفقه والحكمة وتولت حمل الأمانة وأداء مسؤولية الدعوة والتوجيه الفكري والأخلاقي ، فنالت الاعتبار من كل جهة وُفقت إلى عرض محاسن الحضارة التي جاء بها الإسلام في ضوء الأسوة الحسنة التي أكرم بها رسول الله ﷺ : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةً لَمْ يَكُنْ لَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْآخِرِ وَذَكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا » .

ثم إن الإسلام لا يفرق بين علوم وعلوم فيجعل علوم الدين وعلوم الدنيا بحيث لا يمكن الجمع بينهما ، إنه لا يوزع الناس على أساس العلم فيسمى طبقة بعلماء الدين (أو رجال الدين كما هو الشأن لدى النصارى) وأخرى بعلماء الدنيا ، ولا لقاء بينهما ، إنه يعتبر العلوم كلها من عطاء الله تعالى للإنسان ، فكثير من الناس جمعوا بين العلوم الدينية والمعارف الكونية وعرفوا بذلك في التاريخ ، وكانوا قدوة للناس ونالوا أهمية وذكرًا في أوساط العلم ، وأسماؤهم لامعة في صفحات المأثر العلمية .

لقد تبيّنت أهمية العلم وشئون التعليم والتربية اليوم أكثر من الأمس بدرجات كثيرة فما من بقعة من بقاع العالم إلا ولها حظ في ذلك ، وأهلها بدأوا

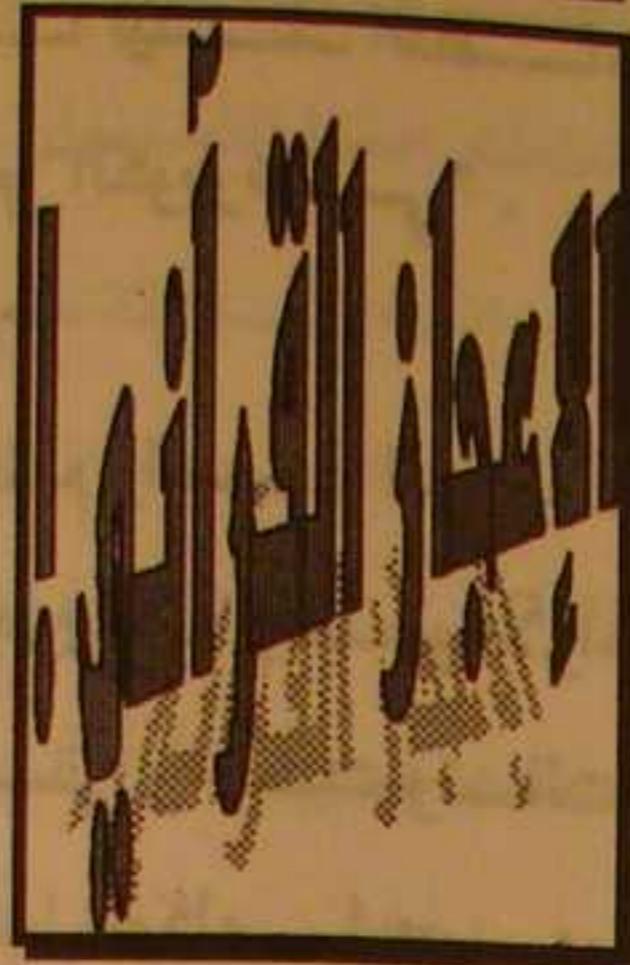
والاطلاع العميق وال بصيرة النافذة في علوم الدين والمعارف الإلهية ، وقاموا بأداء ضريبة هذه النعمة التي أسبغها الله عليهم بشتى الطرق والأساليب ، من العكوف على الدراسة والتعمر في مفاهيم نصوص الكتاب والسنة ، والشرح والتأليف والتحقيق والتعليق ، وإفادة الخلق بما توصلوا إليه من أسرار حكمة الله وأحكام شريعته ، وتفصيل معالم الحضارة الإيمانية ، وكيف تتحقق بها السعادة لهذا العالم البشري ، وتجد مشكلات الإنسان وقضايا العالم حلولاً واقعية فيما إذا التزم الناس بشرعية الله وطبقوها على الحياة والمجتمع .

إننا إذا ذهبنا نعد هؤلاء الأعلام لعصر واحد أو أقل منه لضافتنا المجال ، ولم نتمكن من عرض أسمائهم فحسب ، فضلاً عن بيان خصائصهم وصفاتهم ، ولكن لا يسعنا صرف النظر عن بعض أولئك العمالقة الكبار الذين ملأوا سمع الزمان وبصره بجلال أعمالهم وخدماتهم ، ونوروا قلوب الناس بنفحاتهم الإيمانية وإشراقاتهم الروحانية ، وتضلعهم من العلوم والمعارف ، وتبؤتهم مناصب عالية من الفقه وال بصيرة الدينية ، ذلك كأعلام المحدثين الذين دونوا الحديث وتفانوا في سبيل ذلك وضحوا بحياتهم وأمكانياتهم في تحقيق هذه الصناعة الحديثية ، وهل يسعنا أن نتناسي في هذه المناسبة أسماء الأئمة الأعلام من المحدثين والفقهاء والعلماء والمحققين والمفسرين ، ممن خلفوا وراءهم آثاراً حية للعلم ، ومنوا على طبقة المتعلمين وأصحاب التربية والتعليم والدعوة والفكر ، وأسدوا إلى المكتبة الإسلامية والمؤسسات العلمية معروفاً لا ينساه تاريخ الإسلام العلمي بأي حال .

إن هناك عدداً كبيراً من أعلام الأمة من الرجال والنساء ممن لا يأتي عليهم الحصر ، الذين رفع الله ذكرهم وسمى بهم إلى أشرف وأعلى مكانة من العلم والدين والفقه والحكمة ، حتى قاموا بتمثيل الحياة الإسلامية وحضارة الإسلام

بِلْمٌ : سماحة العالمة الشیخ السید أبي الحسن علی الحسین التدوی

خلط العلم البشري بالعلم الإلهي في الصحف الدينية القديمة



إن صحف الديانات والكتب المقدسة فيها عندما تتعرض لسيطرة البشر وعيثون بتحريفهم ، فإنها تدخل فيها أشياء مما أنزل الله بها من سلطان - ما دام الله لم يتکفل بصحتها وحفظها - وتغزوها نظريات إنسانية ومعارف بشرية ، وما دام العلم البشري غير معصوم وغير حاسم رغم قصوره ونقشه فإن هذه الصحف -نتيجة تدخل هذا العلم البشري الناقص المحدود- تفقد قوتها استنادها وقطعيتها وأبدية حقائقها وكلياتها .

والقرآن المحكم قطعي من ألفه إلى يائه ، لم تدخله آراء البشر ولا نظرياتهم ، ولم تقدر تمسه تحقيقاتهم وتجاربهم ، ومهما ازدهرت العلوم والمعارف وبلغت من الرقي ما بلغت ، ومهما تطورت النظريات البشرية ، ومهما يثبت العلم أن الأرض هي محور الكون أو الشمس ؟ وأنها مسطحة أو كروية ، وأن الكواكب معمورة أو لا ، وأن العوالم متعددة أو أنه ليس هناك إلا عالم واحد ، مهما يكن من ذلك أو غير ذلك فإن

يشعرون بأهمية الموضوع وحاجتهم إليه ، ولا سيما فإن الحضارة الإنسانية المعاصرة التي هي حضارة العلم والتكنولوجيا ، وحضارة الكمبيوتر ، أغفلت اسم الله سبحانه واستحضار ذاته وصفاته لدى إنجاز الصناعات وتوجيهه النوع البشري إليها ، الواقع الذي ضيق دائرة منافعها وحصرها في الشئون المادية وحدها ، وجراحتها من كل تصور للخالق والمبدع ، بل وقطعت علاقة الإنسان عنه ، وذلك ما يعارض روح العلم والقراءة التي تنبع من اسم رب العالم العظيم ، وتصادم النظرة الإيمانية التي يتمتع بها العالم المسلم : « أقرأ باسم ربك الذي خلق » خلق الإنسان من علّق « أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم » علم الإنسان ما لم يعلم « هذه هي القاعدة الصلبة التي يقوم عليها صرح العلم والتعليم ، وتعتمد عليها فطرة الإنسان في جميع مناحي العلوم والمعارف ، وحاجات العلم والدراسة ، ومتطلبات الحكمة وال التربية .

السلمون هم الذين رفعوا منار العلم وقاموا بنشر النظرة العلمية واستبدال الجهالات والسفالات بالعلم والحضارة ، ومنحوا العالم آفاقاً عالية جديدة من المعرف الكونية وعلوم الطبيعة والفضائل الخلقية ، ولكنهم من سوء الحظ يتطلعون اليوم إلى الشعوب المادية التي أخذت منهم كل ما كان لديهم من شئون العلوم والمعارف ، وهم يستجدون منها نظريات وأساليب في المجالات العلمية والصناعية ، وينظرون إليها كأنها هي صاحبة اليد العليا والإبداع الأصيل .

ولعله قد آن الأوان لكي يستعيد المسلمون مكانتهم في تاريخ الحضارة والإبداع والعلم ، ويتبؤوا منصب الأستاذية في جميع الشئون الحضارية والعلمية ، ويتسلموا زمام القيادة العالمية ما داموا متمسكين بالعقيدة وعاملين بالشريعة ، وذلك بالجمع المتقن بينهما وصوغ الحياة في قالبهما في صدق وإخلاص . والله المستعان وهو ولی التوفيق ،

البشري ، والإنسان لم يزد ولا يزال يقطع أشواطه في العالم ولا تنتفع عصا التسيير ولا يلقى بها .

إنه كلما يتقدم يخلف وراءه تلك المرحلة التي يراها هي المنزل حتى جاء حين من الدهر أصبح فيه العلم لا يمشي مع الدين ، فكان صدام بين العلم والدين ، وقد كان هذا الصدام بينهما مرحلة أولى حاسمة في سقوط الدين وهزيمته في أوروبا .

إن الإسلام في تاريخه الطويل لم يمر - ولا تحفة للقسم - بهذا الصدام النكد للحظة واحدة ، ولن يمر .

يمكن أن تتصادم المعلومات البشرية والمعارف البشرية ، وقد تصادمت ، وسيكون منها حق ومنها باطل ، ويمكن أن تكون كلها باطلة لا أساس لها من الواقعية والصحة ، ولكن من المستحيل واقعاً وأساساً أن تتصادم الحقيقة والتصريحات القرآنية ، والعلوم والمعارف التي احتوى عليها هذا الكتاب ، إن كل علم يصادم القرآن ليس علمًا ، إنها هو خرافه ، وهم وهم .

العلم الجديد والكشف الجديدة تصدق القرآن:

إن البحث في القرآن الكريم عن حقائق العلم الحديث أو كشفه الحديثة والتطبيق بين بعض إشاراته الإجمالية وبين الكشف الجديدة والتحقيقات الجاهزة - الذي قام به على النطاق الواسع في هذا القرآن العلامة الطنطاوي الجوهرى المصرى في تفسيره "جوهر القرآن" ويسعى له باحثون في تحقيقاتهم

الحقائق القرآنية لا تتأثر ولا تنفع ، إنها ليست النظام "البطليموسى" الذي يتقوض من أساسه بالنظام "الكوربوري".

هذا هو القرآن ، أما صحف العهد القديم والعهد الجديد "التوراة والإنجيل" فإنها لم تأمن غوايل التحرير وسطو الآراء البشرية ، إنها قد غزتها النظريات والأراء التي راجت ونالت القبول في الجمهور في عصور الظلم في أوروبا - وكلها عصور ظلام - إنها تصرح بأن عمر هذه الكورة الأرضية ستة آلاف سنة ، وأن الأرض مسطحة مستوية ، وأن الشمس والقمر والنجوم تدور حول الأرض ، وأن الأرض محور الكون وأن غيرها من الأجرام الفلكية والكواكب السيارة كلها تابعة لها ، تخضع لسلطانها ، وأن العمran على الصفحة الثانية من الأرض مستحيل ، وذلك كما يقول "أغسطين": "لأنه لم يذكر أحد من أولاد آدم عليه السلام - من هذا النوع الذي يعيش في الجهة الثانية من الأرض ، كما أن الدليل الأكبر على امتناع أن تكون الأرض كروية الشكل هو أن الناس كيف يرون ربهم يوم الحشر لو كان الأمر كذلك - ينزل عليهم من السماء؟!" .

إن هذا التاريخ والعلم "الملم" يمكن أن يكون في عصر المؤلفين والشارحين لكتاب المقدسة هذه ، علمًا مطابقًا لتحقيقاتهم وكشفهم المقررة المعروفة ولكنها لم تكن لازمة الثبوت والصحة ، لقد كانت هي مرحلة من مراحل الفلم

العلمية- جهد شائق ، ودقيق خطير ، لأنّه من الممكن جداً - وقد أيدت التجارب ذلك مرات وكرات في تاريخ العلم والبحث- أن تتفّير نتائج هذه البحوث والمعارف التي يراها الناس اليوم من أجلّ البديهيّات وأظهر الحقائق رأساً على عقب ، أو تصبح موضع شك وتردد ، وت فقد بدهتها وقطعيتها .

ثم إنّ الجهد العلمي - الذي لا ينكر إخلاص القائمين عليه ، وجدّيته وفادته في بعض الأحيان- يبعد بالقرآن الكريم عن موضوعه الرئيسي وغايته الأساسية ، وتشتم منه رائحة الخضوع للعلم الجديد والابتهاج بالكشف العلميّة الحديثة .

وقد أخطأ بعض المفسرين المتقدمين هذا الخطأ نفسه فيما يتعلق بالفلسفة القديمة والروايات التاريخية المشهورة ، ولكن لأنّ نصيب ذلك من تفاسير القرآن الكريم وثروته الضخمة كان ضئيلاً قليلاً ، ولم يجد قبولاً ولا رواجاً في أوساط المسلمين العلمية ، لذلك لم يتعرض القرآن مثل تلك المحنة التي تعرضت لها كتب العهد القديم بالزيادات والشروح والإلحادات الفلكية والجغرافية والطبيعية والتي أسميت في العالم المسيحي في القرون الوسطى بالجغرافية المسيحية المقدسة CHRISTIAN TOPOGRAPHY

ولكن الدارس المنصف من ذوى الفطرة السليمية - الذي لا يحمد جمود الجاهلين ولا يخضع لكتشوف العلم خضوع المستسلمين النبهرين- يدهش عندما يطلع على هذه الحقيقة

العجبية حقاً ، وهي أنّ هذا الكتاب رغم كونه قد نزل على رسول أمي قبل أربعة عشر قرناً من الزمان في البيئة العربية المحدودة المنعزلة عن دنيا العلم والمدنية ، احتوى على عدد من الحقائق التي تتعلق بالتاريخ والجغرافية والطبيعة والفلك والأجرام السماوية وعلم الحياة ، والطب ، وخلق الإنسان وتكوينه وتركيب أعضائه وغيرهما من كثير من المعارف والعلوم التي انكشفت عنها في القرون الأخيرة معلومات وحقائق ، وتغيرت أوضاع العلم البشري تغيراً جذرياً ، وليس فيه ما أثبت العلم الحديث ، وكشفوه ، خلافه ومنافاته للواقع ، بل قد وردت فيه حقائق ولفقات لم يكشف عنها العلم إلا قريباً ولم يبلغ إليه إلا بالأمس .

إن تفصيل هذا الإجمال لا يقتضي كتاباً واحداً بل سلسلة كتب ومؤلفات ، فنكتفي هنا بشهادة واحدة لباحث فرنسي فاضل ، فقد صدر قريباً للأستاذ الفرنسي الباحث موريس بوكائيل (MAURICE BUCAILLE) في كتابه : (The Bible) (The Quran and Science) وترجمته العربية باسم "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعرفة الحديثة" ، يقول فيه المؤلف الفاضل :

"ولقد أشارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتى العميقه في البداية ، فلم أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير - إلى هذا الحد- من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ، ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة ، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً" (١).

ولقد وصل المؤلف بعد مباحث قيمة تستحق الدراسة حول خلق السماوات والأرض ، وإيجاد هذا الكون ، والأجرام الفلكية ، وطبيعة الأجرام السماوية وتطور العالم السماوي وغزو الفضاء ودورة الماء والبحر وتضاريس الأرض والجو الأرضي وعالم النباتات والحيوانات ، ونشأة الحياة والتناسل الإنساني ، وتربيبة الجنين ، والحوادث التاريخية الكبيرة : "كتوفان نوح ، وتحديد زمن إقامة بني إسرائيل في مصر ، وخروج سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - من مصر ، وتحديد فرعون موسى ، وكيفية هلاكه وغير ذلك" (٢) وبعد عقد موازنات بين القرآن الكريم وصحف العهد القديم في ضوء الكشف الجديدة في عالم الطبيعة والفلك وعلم الحياة ، والطب والتاريخ وصل إلى هذه النقطة الحاسمة :

"إن مقارنة عدد من روايات التوراة مع روایات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتواافق تماماً مع المعطيات الحديثة" (٣).

ويختتم المؤلف كتابه العلمي الجيد بهذه السطور التالية :

"ولا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر ، وهذا بسبب حالة العارف في عصر محمد ﷺ لذا فمن المشروع تماماً أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله ، وأن تعطى له مكانة

خاصة جداً حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث إن احتواه على المعطيات العلمية المدرستة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعى ، عقيمة حقاً المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية" (٤).

وهكذا فإنه لا تأثير على القرآن الكريم للميول والنزاعات البشرية المؤقتة من اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وإن هدایته وإنارتھ للطريق في هذه الأمور العلمية أيضاً أبدية حتمية قاطعة .

المواهش :

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - مورييس بواكائ [طبع دار المعارف - القاهرة] : ص/١٤٤ .

(٢) انظر لهذه المباحث العلمية بتفصيل الكتاب المذكور من ص/١٥٧ إلى ص/٢٧١ .

(٣-٤) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : ص/٢٨٦ .

مَعَالِمُ التَّرْبِيَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ

[الحلقة الثانية]

بتلر: الدكتور عمر يوسف حزرة

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة قطر

فالتربيـة في القرآن والسنة تفردـت

بالدعوة إلى المثل العليا والأهداف السامية التي خلق الإنسان من أجلها وأرسل إليه الرسـل ليـدعوه إلى عبـادة الله -عزوجـلـ - التي تقتضـي من الإنسـان أن يعيش وفق منهج الله وشـريعـته ليـحقق السـعادـة في هذه الحـيـاة الدـنيـا والـآخـرـة .

إن العـاقـلـ المنـصـفـ لـابـدـ أن يـسـأـلـ نـفـسـهـ أيـ شـئـ خـيـرـ لـهـ فيـ حـيـاتـهـ وـأـبـقـىـ لـهـ بـعـدـ مـمـاتـهـ ؟ـ وـمـاـ الـذـيـ يـجـبـ أـنـ يـكـرـسـ لـهـ عـمـرـهـ ،ـ وـيـبـذـلـ مـنـ أـجـلـهـ قـصـارـىـ جـهـدـهـ؟ـ

وـالـإـجـابةـ عـلـىـ هـذـاـ السـؤـالـ لـيـسـتـ صـعـبـةـ وـلـاـ مـعـمـاـ هـيـ سـهـلـةـ مـيـسـوـرـةـ لـمـ يـعـمـلـ عـقـلـهـ وـيـسـتـنـيرـ بـشـرـيعـةـ رـبـهـ .ـ

لـقـدـ أـوـضـحـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ فـيـ كـتـابـهـ الـحـكـيمـ الـذـيـ أـنـزـلـهـ تـبـيـانـاـ لـكـلـ شـئـ ،ـ قـالـ عـزـوجـلـ :ـ «ـ وـنـزـلـنـاـ عـلـيـكـ الـكـتـابـ تـبـيـانـاـ لـكـلـ شـئـ »ـ وـهـدـىـ وـرـحـمـةـ وـبـشـرـىـ لـلـمـسـلـمـينـ»ـ (ـ١ـ٣ـ)ـ ،ـ فـقـدـ بـيـنـ سـبـحـانـهـ حـقـيـقـةـ الدـنـيـاـ حـتـىـ لـاـ نـفـتـنـ بـهـاـ وـبـيـنـ مـاـ هـوـ خـيـرـ مـنـ مـتـاعـ الدـنـيـاـ حـتـىـ نـعـمـلـ لـهـ وـنـحـرـصـ عـلـيـهـ وـذـلـكـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ زـيـنـ لـلـنـاسـ حـبـ الشـهـوـاتـ مـنـ النـسـاءـ وـالـبـنـيـنـ وـالـقـنـاطـيـرـ الـمـقـنـطـرـةـ مـنـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ وـالـخـيـلـ الـمـسـوـمـةـ وـالـأـنـعـامـ وـالـحـرـثـ »ـ ذـلـكـ مـتـاعـ الدـنـيـاـ »ـ وـلـهـ عـنـدـهـ حـسـنـ

١٦/١٦

الماـبـ هـ قـلـ أـوـنـبـئـكـ بـخـيـرـ مـنـ ذـلـكـ لـلـذـينـ اـتـقـواـ عـنـدـ رـبـهـمـ جـنـاتـ تـجـرـىـ مـنـ تـحـتـهـ الـأـنـهـارـ خـالـدـينـ فـيـهـاـ وـأـزـوـاجـ مـطـهـرـةـ وـرـضـوـانـ مـنـ اللهـ هـ وـلـهـ بـصـيرـ بـالـعـبـادـ»ـ (ـ١ـ٤ـ)ـ .ـ

فـخـيـرـ شـئـ لـلـإـنـسـانـ هـوـ رـضـاـ اللهـ تـعـالـىـ وـجـنـتـهـ ،ـ وـالـذـيـ يـوـصـلـ إـلـىـ هـذـاـ إـنـمـاـ هـوـ تـقـوـيـ اللهـ وـالـذـيـ يـبـلـغـ إـلـيـهـ إـنـسـانـ مـنـزـلـةـ التـقـوـيـ هـوـ عـبـادـةـ اللهـ سـبـحـانـهـ ..ـ قـالـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ :ـ «ـ يـاـ أـيـهـاـ النـاسـ اـعـبـدـوـاـ رـبـكـمـ الـذـيـ خـلـقـكـمـ وـالـذـينـ مـنـ قـبـلـكـ لـعـلـكـمـ تـتـقـونـ»ـ (ـ١ـ٥ـ)ـ .ـ

فـقـدـ أـمـرـ اللهـ تـعـالـىـ النـاسـ جـمـيـعـاـ بـعـبـادـتـهـ -ـالـكـفـارـ وـالـمـؤـمـنـينـ-ـ أـمـاـ الـكـفـارـ فـمـأـمـورـونـ أـنـ يـنـشـئـوـاـ الـعـبـادـةـ .ـ وـأـمـاـ الـمـؤـمـنـونـ فـمـأـمـورـونـ بـالـثـبـاتـ عـلـيـهـاـ ،ـ وـالـزـيـادـةـ فـيـهـاـ ،ـ وـلـاـ يـعـتـرـضـ بـأـنـ الـعـبـادـةـ شـرـطـهـاـ إـيمـانـ وـهـوـ مـنـتـفـيـ فـيـ غـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ لـأـنـ الـأـمـرـ بـالـعـبـادـةـ مـتـضـمـنـ الـأـمـرـ بـمـاـ لـاـ تـتـمـ إـلـاـ بـهـ وـهـوـ إـيمـانـ ،ـ وـقـدـ أـخـبـرـ اللهـ سـبـحـانـهـ إـنـهـ إـنـمـاـ خـلـقـ الـجـنـ وـالـإـنـسـ لـعـبـادـتـهـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :

«ـ وـمـاـ خـلـقـتـ الـجـنـ وـالـإـنـسـ إـلـاـ لـيـعـبـدـوـنـ »ـ مـاـ أـرـيدـ مـنـهـمـ مـنـ رـزـقـ وـمـاـ أـرـيدـ أـنـ يـطـعـمـوـنـ »ـ إـنـ اللهـ هـوـ الرـزـاقـ ذـوـ الـقـوـةـ الـمـتـيـنـ»ـ (ـ١ـ٦ـ)ـ .ـ

وـالـمـعـنـىـ :ـ وـمـاـ خـلـقـتـ الـجـنـ وـالـإـنـسـ إـلـاـ لـيـوـحـدـوـنـيـ وـتـفـسـيـرـ الـعـبـادـةـ بـالـتـوـحـيدـ هـوـ مـذـهـبـ اـبـنـ عـبـاسـ -ـرـضـيـ اللهـ عـنـهـمـاـ-ـ وـاـخـتـارـهـ الـنـسـفـيـ قـائـلاـ :ـ "ـ وـالـوـجـهـ أـنـ تـحـمـلـ الـعـبـادـةـ عـلـىـ التـوـحـيدـ فـقـدـ قـالـ اـبـنـ عـبـاسـ -ـرـضـيـ اللهـ عـنـهـمـاـ-ـ كـلـ عـبـادـةـ فـيـ الـقـرـآنـ فـهـيـ تـوـحـيدـ"ـ (ـ١ـ٧ـ)ـ .ـ

وـلـكـنـنـاـ نـرـىـ فـيـ الـدـنـيـاـ كـثـيـرـيـنـ غـيـرـ مـوـحـدـيـنـ فـمـاـ وـجـهـ هـذـاـ القـوـلـ إـذـنـ؟ـ

وـأـمـاـ الـكـافـرـ فـيـوـحـدـهـ اـضـطـرـارـاـ فـيـ الشـدـةـ وـالـبـلـاءـ دـوـنـ النـعـمـةـ وـالـرـخـاءـ (ـ١ـ٨ـ)ـ .ـ

قال تعالى : ﴿وَإِذَا غَشَيْهِمْ مَوْجًا كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ﴾ فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتضى وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴿١٩﴾ .

ولا يستطيع الإنسان أن يعرف الله تعالى المعرفة الصحيحة وأن يخضع له سبحانه وحده وأن يلتزم بأوامره وأن يكف عن مناهيه والتحلى بالفضائل واجتناب الرذائل عن طريق الحواس أو من طريق العقل .

فليست الحواس بمرشدة أصحابها إلى الخير وزاجرة لهم عن الشر ، كما أن العقول - بدون الوحي - ليست بهادئة أصحابها إلى الطريق الأقوم والسعادة المنشودة .

وانما السبيل لهداية البشر هو رسالات الله تعالى وتتمثل الهداية الإلهية في الكتب التي أنزلها على رسله الكرام - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وقد ختم تلك الرسائل بالرسالة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة ، رسالة محمد ﷺ ولهذا نجد التربية في القرآن والسنّة لها غايتها التي تربط الإنسان بالله تعالى وتجعله يعمل لخيري الدنيا والآخرة .

يقول الإمام الغزالى - رحمه الله تعالى - (٢٠) مبيناً فلسفة التربية في الإسلام : الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة سازجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائلاً إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل إهتمالاً ثم شقي وهلك فكان الوزر على رقبة القيم عليه والواли له . وقد قال الله - عزوجل - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْنَاسْكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا﴾ (٢١) .

ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه من نار الآخرة أولى ، وصيانته بأن يؤدبه ويهدبه ويعلمه محسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيغ عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره ..

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) : "ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربى في صغره ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها . وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامتهم من قبل الآباء ..

ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها فيعد أنه مخلوق له ، فلا يحمله على غيره ، ما كان مأذونا فيه شرعاً حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له .

مفهوم التربية في القرآن والسنّة :

لقد ذكرنا نماذج من تعريف التربية عند علماء الغرب وغيرهم من علماء الإسلام وأوضحنا جوانب التفسير في تعاريف التربية الغربية ، وإنها لم تف بمفهوم التربية الحقيقي ، ويمكننا أن نخرج بتعريف شامل للتربية في ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

فنقول : التربية هي العلم الذي يهدف بالإنسان شيئاً فشيئاً إلى الكمال المتمثل في عبادة الله - عزوجل - واعداده ليعيش حياة سعيدة في ظل ما شرعه الله تبارك وتعالى .

وهنا نلمس في هذا التعريف الغاية والهدف من التربية في القرآن والسنّة وهي تبلیغ الإنسان إلى الكمال والتمام والمسلم يعلم بدهة أنه لا كمال للإنسان

إلا في ظل عبادة الله والتزام شريعته وهذا التعريف هو الذي نرتضيه ونسير على منواله لأنَّه جمع الوسائل والأغراض ذات الأهداف التي توصل الإنسان إلى الغاية المنشودة وهي تحقيق عبادة الله -عزوجل- وحسن استخلافه في الأرض ، وهذا كلُّه قد أغلقته التربية الغربية مما جعلها تتحقق في كل محاولة تبديها نحو التربية وما ذاك إلا لقصورها في فهم حقيقة الإنسان والغاية من وجوده ومصيره .

يقول الكاتب الإسلامي أنور الجندي : فهي في مكان ما تربية جسمانية صرفة وفي مكان آخر تربية عقلية خالصة وفي آخر تحاول أن تجعل الفرد حرًا كل الحرية غير مقيد بحدود ولا ضوابط وهي في مكان آخر تعتبر الإنسان ترسًا في حالة المجتمع الكبرى فلا حرية ولا رأى ولا كيان ..

وإلى هنا يتضح لنا أنَّ المنهج الإسلامي للتربية يختلف كل الاختلاف عن غيره من المناهج حيث تبدو ميزته في أنه عالج الإنسان من جميع جوانبه (٢٣) نفساً وعقلاً وروحًا ولم يحمل جانبًا من جوانبه على حساب جانب آخر أو يعلى جانبًا على جميع الجوانب .

وقد يتadar إلى الذهن أنَّ الغاية من التربية في القرآن والسنة هي إيصال الإنسان إلى عبادة الله فحسب وما عدا ذلك فهي تهمله وبالتالي تهمل الجانب المعيشي لهذا الإنسان فلا تعدد ليعيش حياة طيبة كريمة ، لم يقل بهذا إلا من جهل الإسلام ولم يعرف الطريق الذي تسلكه التربية في ضوء القرآن والسنة ، فكيف تهمل هذه التربية الإسلامية جانب الإنسان المعيشي وهي تدعوه إلى الكسب وتحث عليه ، إن من طبيعة الإسلام الحركة والنشاط لأنَّ الحركة حياة وقوه والسكون ضعف وموت .

والإسلام يحب لأهله أن يحيوا كأقوى ما تكون الحياة وأن يناضلوا كأشد ما يكون النضال وأن يكون لهم في كل ميدان جهاد وفي كل مجال عمل حتى تتحقق لهم السيادة والقيادة عن جدارة واستحقاق .

فغاية الحياة في نظر الإسلام إحسان العمل واتقانه واظهار المواهب وإبراز القوى الكامنة في النفس الإنسانية .

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قادر * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً * وهو العزيز الغفور ﴾ (٢٤) .

﴿ إنا جعلنا على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً * وإنما لجعلون ما عليها صعيدياً جرزًا ﴾ (٢٥) .

﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ (٢٦) .

وما لم يحقق الإنسان هذه الغاية فهو في خسر ونقص يعرضه للضلالة والشقاء ، يقول تعالى : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق * وتواصوا بالصبر ﴾ (٢٧) .

وقد تحجب النفس عن الغاية التي خلقت من أجلها فتنصرف عنها متعللة بالأمانى الخادعة والأمال الكاذب فأصدر الإسلام حكمه الحاسم لبيدد هذه الأمانى والأمال فإنه إسلام الوجه لله واحسان العمل له (٢٨) .

﴿ ليس بأمانينكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به * ولا يوجد له من دون الله ولیاً ولا نصيراً * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أوأنتى وهو مؤمن * فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً * ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ (٢٩) .

- (١٧) انظر : تفسير النسفي : ج/٢ ، ص/٤٢ ، دار إحياء الكتب العربية .
- (١٨) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : ج/٤ ، ص/١٤٥ - للإمام علي بن محمد الشهير بالمازن .
- (١٩) سورة لقمان ، الآية : ٣٢ .
- (٢٠) انظر : إحياء علوم الدين : ٣/٦٩-٧٩ - للإمام أبي حامد الغزالى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية .
- (٢١) سورة التحرير ، الآية : ٦ .
- (٢٢) انظر : تحفة المردود باحكام المولود - للإمام ابن قيم الجوزية بتحقيق الشيخ عبد القادر الارناؤوط ، مكتبة دار البيان بدمشق ١٣٩١هـ- ١٩٧١م : ص/٢٤٠-٢٤٤ بتصرف .
- (٢٣) بتصرف من رسالة في التربية - لأنور الجندي ، طبعة دار الاعتصام القاهرة : ص/٦ .
- (٢٤) سورة الملك ، الآيات : ٢-١ .
- (٢٥) سورة الكهف ، الآيات : ٧-٨ .
- (٢٦) سورة هود ، الآية : ٧ .
- (٢٧) سورة العصر ، قوله تعالى في سورة التين : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ، الآيات: ٤-٥ .
- (٢٨) انظر : عناصر القوة في الإسلام - لأستاذنا السيد سابق : ص/١٦٢-١٦٣ ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م . دار الكتاب العربي - بيروت .
- (٢٩) سورة النساء ، الآيات : ١٢٣-١٢٤-١٢٥ .
- (٣٠) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٠ .
- (٣١) سورة سباء ، الآية : ١١ .
- (٣٢) انظر : صحيح البخاري : ج/٢ ، ص/١٦٢ ، المطبعة العثمانية المصرية .
- (٣٣) سورة الزلزلة ، الآيات : ٨-٧ .
- (٣٤) سورة الأحقاف ، الآية : ١٩ .

وقد أشار القرآن الكريم بعمل داؤد - عليه السلام - ليحدث المسلمين على العمل والكسب من عرق الجبين فكان من شكر داؤد - عليه السلام - وعمله الصالح أنه كان يأكل من عمل يده ، يصنع الدروع ويبيعها ، ويأكل من أثمانها : « وعلمناه صنعة لبوس لكم » (٣٠) ، « وأن اعمل سابغات » (٣١) .

ولم يكن يأكل من بيت مال الأمة ولو أنه أكل منها وأخذ حاجته لما كان عليه ضير في ذلك إذ هو يقوم بشئون رعيته ويكرس جهده ووقته بعد طاعة الله في مصالحهم ، وذلك لأنه - عليه السلام - اختار أن يأكل من أطيب الکسب وهو عمل الإنسان بيده وقد امتحن هذا نبيينا ﷺ وأشار بداؤد - عليه السلام - في ذلك فقال : "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داؤداً كان يأكل من عمل يده" (٣٢) .

يتضح لنا مما أوردناه من أوله وسقناه من شواهد ، أن التربية الإسلامية لم تمهل الجانب المعيشي للإنسان لأن الإسلام دعا إلى الکسب والعمل وحث على ذلك بل وجعلته التربية في الإسلام مبدأ من مبادئها يثاب المسلم عليه إذا أحسن العمل ويجازى على تقصيره إذا لم يقم بالواجب : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يُرَهِهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يُرَهِهُ » (٣٣) .

ومنزلة الإنسان عند الله بقدر ما يقوم به من عمل : « ولكل درجات مما عملوا وليرثونهم أعمالهم وهم لا يظلمون » (٣٤) .

البعض امثل :

- (١٣) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .
- (١٤) سورة آل عمران ، الآيات : ١٤-١٥ .
- (١٥) سورة البقرة ، الآية : ٢١ .
- (١٦) سورة الذاريات ، الآيات : ٥٦-٥٧ .

أرضها، هو وأسرته من قرون متطاولة بعد هجرة الأسرة من البلاد العربية.

لكنه الإدراك العميق من الشيخ بأهمية الدور القيادي للعرب ، و بمدى تأثيرهم العالمي ، إذا عادوا للتمسك بالإسلام حكامًا ومحكومين !

كانت مصر في طبعة البلاد العربية التي رصد الشيخ الندوبي الصراع بين الإسلام والتغريب فيها ..

وقد تتبع الشيخ رحلة التغريب في مصر منذ محمد علي باشا ورفاعي الطهطاوي ، والخديوي اسماعيل وحفر قناة السويس التي وصلت الشرق بالغرب لصالح الغرب !

ولم يفت الشيخ أن يلمع هنا إماعة رائعة تدل على إدراكه العميق لمسؤولية مصر ومكانتها ، حين دعا مصر إلى أن تحفر قناة جديدة : "أفضل من قناة السويس ألف مرة . وأعود منها على الشعوب الإنسانية بالخير والسعادة ، وأعمق منها تأثيراً في اتجاه العالم ومصير الشعوب والأمم ، وأوسع تأثيراً في التاريخ الإنساني ، هي قناة التعارف الصحيح المتداول المتوازن بين الشرق والغرب ، قناة تصل الشرق المتخلف في العلوم الطبيعية والصناعات المفيدة بالغرب الذي قد بلغ الذروة فيها ، وتصل الغرب الحائر المتخدم بقوته المادية ، والمفلس في الروح والأخلاق ، واليأس المتشائم ، السالك في سبيل الانتحار ، بمنابع الرضا والهدوء والأمن العاطفي ، والثقة المتبدلة ، والأمل القوي في مستقبل الإنسان ، الكامنة في رسالات الشرق الدينية والروحية التي يمثلها الإسلام في شكلها الكامل النهائي . وتصل وسائل الغرب الهائلة الجباره المكدة

[الحلقة الثالثة]

الدكتور عبد الحليم عويس - القاهرة



وكان كتاب الشيخ الندوبي : "الصراع بين الفكرة الإسلامية وال فكرة الغربية"

من أشمل وأعمق ما قدمه الفكر الإسلامي في فضح الفكرة الغربية ، وفي تتابع نواحي سقوط العرب - حكامًا ومتلقين - في حالها ..

ومع أن الكتاب لم يكن محصوراً فيدائرة العربية ، بل كان شاملًا لآفاق الصراع على امتداد العالم الإسلامي ، إلا أن العالم العربي الذي لا يزيد سكانه عن سدس المسلمين قد أخذ حيزاً من الكتاب يزيد - في مساحته - عن نصف الكتاب إذا ما استثنينا المساحة التي تتحدث عن قضايا فكرية وتغريبية عامة ، سواء في مجال تشخيص المرض ، أم في مجال تأصيل علاجه من منظور إسلامي حضاري .

وهذه المساحة - في حد ذاتها - دليل قوي على ما يوليه الشيخ الندوبي لقضايا العالم العربي في فكره ، وحسبنا أن رصده للصراع في شبه القارة الهندية - بمفهومها الشامل - لا يزيد عن ثلث ما كتب عن العرب . مع أن عدد المسلمين الهنود يبلغ ضعف عدد العرب ، ومع أن الشيخ الندوبي يعيش في الهند ، ويعانى مشكلاتها ، ويجahد في

وكانت نكبة ١٩٦٧م نهاية طبيعية ومساوية لنظام عسكري
دكتاتوري مادي مقطوع الوسائل بالإسلام ، محارب له في كل مجال ،
وقد دفع الشعب كله ثمن استسلامه لهذا النظام وأيديولوجيته
والمنتفعين به !!

وفي سوريا والعراق تتبع الشيخ الندوی المُدّ التغريري العلماني
المادي الذي سيطر على الدولتين اللتين كانتا حواضر لاعظم وأكبر
خلافتين إسلاميتين بعد الراشدين !!

ومن المعروف أن هاتين الدولتين قد ابتنينا بحكم حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يعدّ (ميشيل عفلق) الصليبي الذي مدحه الفاتيكان بأنه قدم للنصرانية من الخدمات ما لم تقدمه الحملات الصليبية - هو الفيلسوف المنظر والمسير يطر على الفكر والحركة في الدولتين اللتين يحكمها حزب البعث !!

وقد عرض الشيخ لمبادئ حزب البعث من خلال مصادره الأساسية
وعلى رأسها كتاب عفلق : "في سبيل البعث" (٥) ، وفيها يتضح الكفر
الصراح والتنكر الواضح للإسلام ، وسيطرة المفهوم القومي اللاديني
الخادع الذي يهدى العواطف القومية العنصرية ..

وكلما كانت حرب ١٩٦٧م نكبة على مصر ، فقد كانت كذلك نكبة على سوريا ، من جراء هذا العداء الواضح للإسلام ، وهذا التنكر لقيمه وشريعته ، والخاضوع الكامل لدكتاتورية حزب البعث ولمبادئه الإلهادية التي تؤله الحاكم ، وتدعو إلى الكفر بالله ، وتفرض على

التي لا تعرف غاية ، بغايات الشرق النبيلة الكريمة الرحيمة التي لا تملك وسيلة ، تصل الغرب الذي يستطيع ولا يريد ، بالشرق الذي يريد ولا يستطيع ، فيفيض كل واحد منها على الآخر أفضل ما عنده ويتعاونان -تعاون الشقيقين- في إسعاد البشرية ، وتهذيب المدنية ، هذه القناة الثقافية العقلية التي تعتبر -لو تحققت وظهرت إلى الوجود- كانت فتحاً جديداً في العالم ، ومأثرة تاريخية تشغل أعظم مكان مشرف في التاريخ الحديث ، وتكسب لمصر الزعامة الخالدة ، وأشرف مركز تطمح إليه القلوب والأبصار (١) .

لكن مصر -كما هو معروف في التاريخ وكما رصد الشيخ الندوبي- تميزت ب موقف ضعيف تقليدي ، على الرغم من محاولات جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وحسن البنا ، فقد استطاع تلامذة أوربا المخرجون من مدارسها في أوربا أو في مصر أن يعکروا صفو الوصول إلى صيغة حضارية صحيحة للنهضة ، وأججوا الصراع مع الأزهر ، ومع دعاة الحل الحضاري الصحيح الذي يقوم على (التحديث) في ظل الإسلام -كما فعل اليهود واليابانيون وغيرهم- بدلاً من (التغريب) القائم على الذوبان والتبعية والإلحاد والانحلال ..

وكان (قاسم أمين) (٢) و (طه حسين) (٣) من طلائع الانهزامية والتبعية والجرأة على الإسلام بدعوى التقدم والحرية الفكرية ، كما كان لثورة يوليو ١٩٥٢م (٤) دور كبير في فرض المفهوم المادي الشيوعي والتغريبي ومحاربة الإسلام بصفة عامة ، تحت مسميات مختلفة !!

الشعب المنكوب أسوأ صور الحكم الدكتاتوري الإلحادي ، وأحلَّ الأيام
التي مر بها في تاريخه !!

وقد رزئت (تونس) بالرئيس "الحبيب بورقيبة" الذي حكمها بعد
استقلالها سنة ١٩٥٧م نحو ربع قرن ، وكان من أكثر الحكام صراحة
في التجربة على القرآن الكريم الذي لم يقرأه ، وفي الانتقاد من الإسلام
الذي لم يعرفه ، والذي لم يكلف نفسه مشقة التعرف عليه ، بينما كان
يستجيب لأقوال المنصرين والمستشرقين وتلامذة الكنيسة الفرنسية ،
كما يستجيب التلميذ لأستاذه والابن لأبيه ، دون إعمال فكر ..

وقد اتضح من تصرفات بورقيبة وبياناته كما يذكر أستاذنا الشيخ
الندوي ، أن الرئيس بورقيبة (الذي رمى القرآن بالتناقض ، والرسول
بالبداونة وال المسلمين بالوثنية وعبادة محمد - عليه السلام) كان يعاني من
مركب التقى والتبغية الفكرية ، حيث لم يدرس أي علم من العلوم
الإسلامية ، في الوقت الذي لم يستطع فيه أن يفهم كلياً الاعتراضات
والشكوك التي أثارها الناقدون ، وتبدل الأفكار التي أعرب عنها الرئيس
بورقيبة حول حياة النبي ﷺ ، والعقائد الإسلامية ، وطرق العبادة ،
على أنه لا يختلف مع المبادئ الأساسية للإسلام والشريعة فحسب ، بل
إنه يريد أيضاً أن يقود مسلمي تونس إلى نفس الجهة ويثير شكوكاً
وريبياً في قلوبهم (٦).

ولئن كان الرئيس بورقيبة قد تخصص لربع قرن في الهجوم على
القرآن ، فإن العقيد معمر القذافي الذي قاد انقلاباً عسكرياً ضد الحركة
السنوسية الجهادية الإصلاحية في ليبيا قد تخصص في الهجوم على

السنة ، مع أنه بدأ حكمه بمحاولة خداع الأمة عن طريق بعض
الإجراءات التي نظر الجميع إليها على أنها لصالح الإسلام والعروبة ،
لكنها كانت محاولة لتنبيت الأقدام ، وخداع الجماهير المسلمة ، فلم
تكن تمر سنوات قليلة استطاع فيها إحكام دكتاتوريته العسكرية على
الشعب الليبي المسكين حتى كشف عن مهمته وبدأ يقوم ببعض حركات
سازجة لا تدل على اتزان في الفكر داعياً الناس إلى قبول الأحاديث
النبوية - إذا كان لابد من قبولها - في دائرة العبادات فقط ، أما
الأحاديث الأخرى التي تتناول مختلف مجالات الحياة الإنسانية فلا
يمكن - عنده - تطبيقها على الحياة المعاصرة ، وكما يقول أستاذنا الشيخ
الندوي ، فإن القذافي إنما يريد من ذلك حصر الإسلام في العبادات
المحدودة ليقطع صلة الإسلام المستمرة بالحياة على غرار النصرانية .

وقد ذهب الرجل متهدِّياً في طريقه فزعم - وكأن مجتهد إسلامي
كبير - وجود تعارض في الأحاديث النبوية ، وكان رائداً للعلمانيين عند
ما زعم أن جل أقوال الرسول ﷺ ، إنما هي وحي لبيئته وعصره ، وقد
تغيرت الأوضاع والظروف ، فلا سبيل إلى تطبيقها في الأمور الدنيوية في
هذا العصر ، وهذا هو معنى (أنتم أعلم بأمور دنياكم) عنده ، وهو فقه
يلتقى مع الفقه الشيعي الذي يحصر الإسلام في عصر النبوة
والراشدين ، ويزعم بعدم صلاحيته لكل زمان ومكان .

وتغطية لتبييد ثروة شعبه المسكين وفشلها في المجالات السياسية
زاد الطين بلة وشغل المسلمين "بالكتاب الأخضر" الذي يدل على خلل في
الرؤية وإنكار التقويم الهجري الإسلامي ، ودعوى أن التقويم يجب أن

يبدأ بوفاة الرسول ﷺ ، لأنه كما يقول أكبر أحداث التاريخ الإسلامي مع أنه ينكر سنة هذا الرسول . وهكذا عرض الشيخ الندوى - أكرمه الله - لهذه التيارات التغريبية التي انتظمت الجزائر والمغرب وغيرهما مبيناً التخصص الدقيق لكل حاكم مسلم في الإجهاز على الإسلام من زاويته ، ومن ثم قدم الشيخ الندوى نماذج رائعة في الوقوف ضد هذه التغريبية كان من أبرزها وأعظمها النموذج الذي قدمه الشاعر العظيم محمد إقبال الذي كان يقول في الحضارة الغربية (إن من شعار هذه الحضارة الغارة على الإنسانية والفتک بأفراد النوع البشري ، وإن شغلها الدائم التجارة ، إن العالم لا يسعد بالسلام والهدوء وبالحب البرئ النزيه والإخلاص لله إلا حين تنهار هذه الحضارة الجديدة) (٧) .

وهو ينادي الإنسان المسلم أن يلتفت إلى حقيقة النعومة والفتنة في هذه الحضارة الداعرة فيقول له : "إياك والحضارة اللامينية التي هي في صراع دائم مع أهل الحق ، إن هذه الفتانة تجلب فتناً وتعيد اللات والعزى إلى الحرم ، إن القلب يعمى بتأثير سحرها ، وإن الروح تموت عطشاً في سرابها ، إنها تقضى على لوعة القلب ، بل تنزع القلب من القالب ، إنها لصر قد تمرن على اللصوصية فيُغير نهاراً وجهاراً ، وإنها تدع الإنسان لا روح فيه ولا قيمة له . إنها حضارة شابة بحداثة سنها ، والحيوية الكامنة فيها ولكنها محترقة تعاني سكرات الموت ، وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر وتقتل نفسها بخنجرها" (٨) .

ويقلل من شأنها" (٩) .

ومنها كتابه : "حول الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي" .. !!

ومن تراثه في هذا الميدان أيضاً ، تحليله للصراع بين الإيمان والمادية من خلال سورة الكهف .

ومنه رسالته : "حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي" ..

ورسالته حول : "الأمة الإسلامية : وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل" .

فكل هذه الدراسات تصب مباشرة في هذه القضية الخطيرة ، فضلاً عن جهوده المبذولة -غير المباشرة- في كتبه الأخرى .

وجزى الله الشیخ أبو الحسن الندوی عن هذا الاهتمام الكبير والتتبع الدقيق لأوضاع العالم العربي ، وهذا الحرص الشديد على الأمة العربية ، وعقيدتها ، وحضارتها ورسالتها في مواجهة الحضارة الغربية -خیر الجزاء !!

[يتبع]

المواضیع :

(١) الصراع بين الفكرية الإسلامية وال فكرة الغربية في الأقطار الإسلامية -أبو والحسن الندوی : ص/٩٢-٩١ ، دار القلم - الكويت .

(٢) الصراع بين الفكرية الإسلامية وال فكرة الغربية : ص/١٠٠ .

(٣) المرجع السابق : ص/١٠٦ . (٤) المرجع السابق : ص/١١١ .

(٥) انظر : الصراع بين الفكرية الإسلامية وال فكرة الغربية : ص/١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، وغيرها .

(٦) الصراع بين الفكرية الإسلامية وال فكرة الغربية -أبو والحسن الندوی : ص/١٤٧ ، دار القلم - بيروت .

(٧-٨) الصراع بين الفكرية الإسلامية وال فكرة الغربية -أبو والحسن الندوی : ص/٧٨ ، دار العلم - الكويت .

(٩) الصراع بين الفكرية الإسلامية وال فكرة الغربية -أبو والحسن الندوی : ص/٢١٠-١١١ ، دار القلم - الكويت . (١٠) المكان السابق : ص/٢١٢ .

"وال المسلمين إذ تبنوا -كما هو من واجبهم أن يفعلوا- الطريق والوسائل الحديثة في العلوم والفنون الصناعية لا يفعلون أكثر من اتباع غريزة التطور والارتقاء التي تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم ، ولكنهم إذا تبنوا -وهم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك- أشكال الحياة الغربية والأداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية فإنهما لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسها ومما يدهم عليه دينهم نفسه .

ولو أن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم وارتضوا الرقى وسيلة لا غاية في ذاتها ، إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحربيتهم فحسب ، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سر طلاوة الحياة الضائعة" (١٠) .

ولقد تعددت دراسات الشیخ الندوی ضد هذه الفارة التغريبية والمادية ، وهي لم تقف عند حدود كتابه العظيم : "الصراع بين الفكرية الإسلامية وال فكرة الغربية" بل أضاف إليها الشیخ دراساته التي نراها داخلة في صلب القضية ، ومنها كتابه عن "روائع إقبال" الذي حفل بأسفار كثيرة وفصول موجهة إلى العرب حرص الشیخ على التركيز عليها ، بعد أن استخلصها من شعر محمد إقبال ..

ومن هذه الدراسات أيضاً كتابه : "ردة ولا أبا بكر لها" ، وهو الكتاب الذي أطلق فيه على نزعات الحضارة الأوروبية "الدين الجديد" حيث اعتبر عبادة نزعاتها الحيوانية واللام الدينية "ردة" و "ديناً جديداً" انحدر إليها كثير من المسلمين !!

يزعجمهم ، ليصف الدواء الملائم لكل علة ، وليعطي الجسم ما يناسبه من الدواء والعلاج لأن الدواء الواحد لا يوصف لكل الأمراض ، فالطبيب يعالج الأبدان بما يناسب كل حالة ، والداعية إلى الله عليه مهمة في تلمس علة القلوب ليعالج كل حالة بما يناسبها ، وهذا يتطلب منه العلم والفقه والحكمة ، وقد وضع ابن تيمية -رحمه الله- كتاباً سماه : "مرض القلوب وشفاؤها" .

وأنبياء الله ورسله ، بما بعثهم الله به من رسالة لأممهم هم أطباء القلوب ، والعلماء هم ورثة الأنبياء ، لأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحقه .. وحق العلم التبليغ .

والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه موسى وأخيه هارون عند ما بعثهما لفرعون الطاغية المتكبر ، حيث ادعى الربوبية وأمرهما بدعوته إلى عبادة الله وحده : «فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى» [سورة طه ، الآية : ٤٤] ويأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يرافق في دعوته ويتحمل في سبيلها ، فقال سبحانه : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» [سورة النحل ، الآية : ١٢٥] .

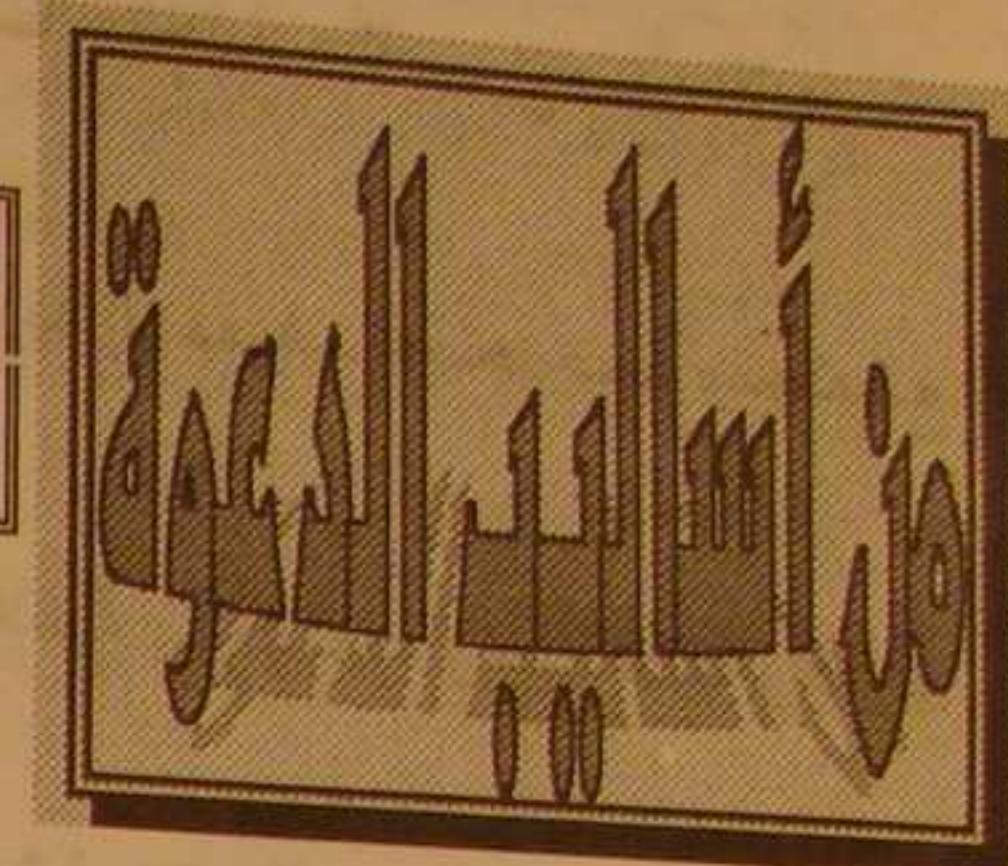
ويؤدب سبحانه نبينا محمدًا ﷺ لنهج الأدب في الدعوة الذي يجب أن يسلكه ، حتى تتأسى به أمته من بعده فيقول : «ولو كانت فظاً غليظ القلب لأنفسوا من حولك» [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] .

والدعوة إلى الله في هذا الزمان ، وفي كل زمان جوهرها ومقصدها واحد ، ولكن الأسلوب الذي ينفذ به أثر الداعية قد تدعو الحال إلى تغييره بحسب الموقف الذي تنتفتح من أجله القلوب فتعمي ، والأبصار فترى ، والآذان لتسمع ، لأن لكل حرب لبوسها ، ولكل عصر دولة ورجالاً .

الدعوة الإسلامية :

بتلم: الدكتور محمد بن سعد الشوير

رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" - الرياض



إن من أحسن أساليب الدعوة إلى الله، والتعرif بدين الإسلام ، كجزء من المهمة الملقاة على كل مسلم كما قال تعالى : «وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون» [سورة الزخرف ، الآية : ٤٤] ، هو اختيار الطريق الأمثل للولوج إلى بوطن القلوب ، والاهتمام بما يلامس مشاعر المدعويين ، كل بحسب حاله ، ووفق المناسبة ، برفق ولين ، تأسياً بمقدولة علي بن أبي طالب ﷺ : خاطبوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله .

فما يلامس مشاعر التاجر ، غير ما يؤثر في أحاسيس ربّان السفينة ، أو قائد الطائرة ، وما يحرك مشاعر الفقير الجائع ، ويريح قلبه ، يختلف عما يخاطب به الغني المتخم بأشهى الأطعمة ، وأطيب الألبسة والراكب ، وما يعطى أثراً عند من حلّت به مصيبة ، أو وقع في محنّة ، يتباين عما يوجهه إلى الملوء نشوة وسروراً ، في ماله وولده ، وفي كل ما حوله ..

وهكذا دواليك ، نجد أن الداعية في كل موقف ، حتى ينفذ لقلوب المدعويين ويؤثر فيهم ، يجب أن يكون كالطبيب في فحص أجسام المرضى ، وتلمس ما

عادياً ، يملك إحساس المسلم في كل أمور دينه تعلمًا وتطبيقاً ، كان يسكن في حي الملح بالرياض ، وفي يوم من الأيام عاد أولاده من المدرسة مشياً على الأقدام ، فوجد أحدهم في الطريق ساعة نسائية ثمينة ، ولما كان قد ربي في أولاده الصدق والأمانة ، واهتم بذلك كل أفراد الأسرة ، فقد استبطأت الأسرة عودته من العمل ، ليعطوه هذه الساعة .

عرضها على بعض العارفين بأقيام مثلها فأخبره عن نفاستها ، وهذا ما زاده حرصاً على إيصال هذه الأمانة لأهلها .. ولكن كيف .. وما السبيل ؟

بدأ يسأل جيرانه واحداً واحداً ، ولم يحدد لهم اسم أو نوعية اللقطة ، وإنما أخبر بأن شخصاً وجد ساعة في الطريق ، فمن فقد شيئاً فليعرف بأوصافها ، فإن انطبقت أططاها لن تطابق قوله مع الحقيقة .. إلا أنه لم يجد في الحي من يدلي بوصف ، ثم وضع الخبر في المسجد : كلاماً واعلاناً فلم يأته أحد أيضاً .

لما كان يسكن في نفس الشارع عائلة من جنسية أجنبية يعمل عائلتها خبيراً بإحدى المؤسسات فقد ضمن أن الساعة قد تكون لهم ، أو لم يعرفون ، وأنه لا يجيد لغة القوم تشاور مع بعض الموثوقين الذين يستأنس برأيهم ، ويطمئن لرجاحة عقولهم ، عن الطريق المناسب في استجلاء حقيقة الأمر من جيرانه هؤلاء ، وهل الساعة التي أصبحت عنده لقطة تخصهم أو يدلون بمن هي له .. أم لا ؟

فكان الرأي عرض الأمر على مراحل : الأولى : بإعداد رسالة يوضح فيها نظرة الإسلام للجار وحقه ، وما يوصى به من اهتمام ومراعاة لشعوره ، وأن من حق الجار السؤال عن حالة جاره ولأنكم أهل كتاب أمرنا الله بأداء حكم

ذكر هذا الموقف بعد ما قرأت عنه من مداخلة في ندوة : الخطر الإسلامي على الغرب بين الحقيقة والوهم ، ضمن النشاط الثقافي في مهرجان الجنادرية الحادي عشر ، حيث أذيع شريط فيديو تحدثت خلاله هيلا دي كلنتن زوجة الرئيس الأمريكي عن الإسلام واهتمامها به الذي جاء تواصلاً إليها عن طريق ابنته ، التي عرفتها بالإسلام ، زميلتها التي أسلمت ، وكان من نتيجة هذا التعريف والتعاطف ، أن استقبل البيت الأبيض الأمريكي ولأول مرة في تاريخه عددًا من الأسر الأمريكية المسلمة ، بمناسبة عيد الفطر المبارك هذا العام ١٤١٦هـ ، وهنأهم الرئيس وزوجه ومجموعة من المسؤولين بهذه المناسبة المهمة عند كل مسلم ، فكانت هذه الزميلة مدخلاً من مداخل التعريف بالإسلام ، على المستوى الأمريكي كله ، لأن اهتمام الرئيس وزوجته جعل الكل يهتم ويسأل ، مما يؤمل معه المسلمون هناك أثراً كبيراً في حياتهم وأحوالهم ، وتنامي الإسلام عندهم .

إن كل فرد في المجتمع الإسلامي مهما كان موقعه ، يستطيع أن يحقق شيئاً لدینه ، يعود عليه بالنفع والأجر أولاً ، وللآخرين بالسعادة والنجاة ، عند ما يرشد لخير دين أخرجه الله للناس ، بالطريقة التي تناسب كل شخص ، وبحسب الموقف الذي يلامس فيه الآخر ، أو تار القلوب .

وبهذه المناسبة أذكر واحداً من المواقف الدعوية ، مرّ بأحد الأخوة في مدينة الرياض منذ ربع قرن تقريباً عند ما كانت الرياض في بداية نهضتها ، وعمرانها في المراحل الأولى لامتداده ، وهذا نموذج فقط .

لم يكن هذا الرجل بطالب علم شرعى ، ولم يكن متبحراً في أساليب الدعوة . ولا قدرة لديه في تدبیج الكلام والسيطرة الخطابية ، لكنه كان موظفاً

التعريف بها سنة كاملة في مجامع الناس ، إنه دين يحتاج الغرب المادي أن
يعرف جوانبه المهمة عنهم ، لما فيه من حلول لشكلاتهم .

ومما جاء في الرسالة أن الساعة المذكورة تخص عائلة لا زالوا يقيمون
عندكم ، وقد بعثت لهم رسالتكم ، ففتحت أمامهم نافذة لعرفة الإسلام ، وقد
شدوا عزيمتي للعودة لبلادكم مرة أخرى ، لا رغبة في مصلحة مادية ، ولكن
لأبدأ من جديد في تعلم هذا الدين ، ومناقشة جوانب عديدة في شئون الحياة
وكيف يعالجها .

ثم حرص في رسالته أن يطلب من الرسل إليه تهيئة ما يتتوفر من كتب
تعرفه بالإسلام ، وأن يحتفظ بالساعة التي أوصافها كيت وكيت ريثما يعود هو
للعمل الذي تركه راغباً عنه ، وها هو يعود إليه برغبة أقوى بعد أن شعر
بإيحاء وجداً يسوقه للعودة ، وسيكون معكم في اللقاء مصاحباً لزميله الذي
تعرف على الساعة .

فرح الرسل إليه بهذه الرسالة لأن مقصده الحسن ، ونيته الطيبة ، قد
حققت ما كان يصبو إليه المساهمة بقدر جهده ، وبصاعته المزاجة ، في الدعوة
لدين الله ، هذه الدعوة التي هيأ الله لها سبباً باللقطة ، التي كانت مفتاحاً
للتعرّف بالإسلام ، وانفتاح النفوس للسؤال عنه وتعاليمه .

تكرر اللقاء ، وعادت الساعة لأصحابها ، لكن القلوب دخلت منعطفاً آخر
بدأ بالسؤال والاستقصاء ثم التعليم القراءة .

وتصله الكتب المترجمة ذلك الوقت عن الإسلام ، فقد كانت الترجمة ثم
بال مشافهة والمساءلة ، أو الكتابة البسيطة ، فيملي هذا ، ويترجم ذاك ، ويكتب
المترجم له ما علق بذهنه ، وما هي إلا جلسات امتدت لعامين حتى فتح الله

الثانية : شرح هذا الأمر في الرسالة ، ويخبر : بأن أحد أولادنا ونحن
جيرانكم قد وجد في وقت كذا ساعة في الطريق فإن كانت لكم أو لأحد ضيوفكم
فأعطونا أوصافها ، فإن انطبقت فهي لكم لأن ديننا يأمرنا بذلك .. وختمت
الرسالة بالدعاء لهم بالهدى ، والإسم والعنوان .

أما الثالثة : فهي في كيفية توصيل الرسالة إلى هذا الجار ، فالتقوا به قرب
منزله ، وكان في عجلة من أمره لأنه سيغادر المملكة بعد أن انتهى عقده ،
وأخبرهم بأن عائلته قد سبقته بالرحيل ، وبعد تسلیم البيت لأصحابه سيلحق
بزوجته ، ولما قالوا له عن فحوى الرسالة ، وعد بأن يسلمها لزوجته في بلده .

وبعد مدة كاد معها صاحبنا ييأس ، وصلته رسالة تحمل ختم البريد من
أمريكا ، استغرب الأمر لأنه لا يعرف أحداً هناك ، وزادت غرابةه أكثر ، عند
ما فتح الرسالة فإذا هي من صفتين ولا يعرف منها جملة واحدة ، في الوقت
الذي كارد قضية الساعة تنمحى من ذاكرته .

وبعد أن استعان بمن ترجم له هذه الرسالة ، وجدها باسمه ورداً على
الرسالة السابقة ، وفيها ثناء على الإسلام وتعاليمه ، وأسف من مرسلها بأنه
أقام بالبلاد مدة عمله ، ولم يعرفه زملاؤه في العمل شيئاً عن الإسلام ، فكانت
رسالتكم المتعلقة بأمر هذه الساعة فاتحة لطبي المعرفة عن هذا الدين الذي
يهتم بكل جانب من جوانب الحياة ، وأشار فيها لما أعجبه من توضيح
مستفيض عن اللقطة وحكمها في الإسلام وكيفية إيصالها لأصحابه وشد انتباهه

صدر أولئك الأجانب للإسلام ، وأخذوه عن قناعة وطوعية ، لأنهم وجدوا فيه ما يلبي رغباتهم ، وفي تعاليمه ما يسد فجوات في حياتهم : راحة نفسية ، واطمئناناً قليلاً ، وصدق الله : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تُطمِئِنُ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد ، الآية : ٢٨] ، فأخذوا من تعاليم الإسلام ومقاصد شرعه ، ما يعينهم على فهمه وتبلیغه .

عادوا لبلادهم بفوز في دخول الإسلام ، والانتماء لمبادئه ، حيث ناقشوا فيه وعرفوه ، وحاوروا في شبهات طرح فزالت عنهم ، واقتنعوا من دوره في تربية النفوس ، وحماية المجتمعات ، فكانوا متحمسين لدعوة ذويهم ، لأنهم تذوقوا طعمه ، وشعروا بتأليفه القلوب ، حيث بكى أحدهم عند ما قال له : أحد المسؤولين في المسجد بعد أداء صلاة أحدى الجمع ، وضمه ليهنه ويحاطبه بقوله : يا أخي .. فقال له : هذه الكلمة كنت افتقدتها في مجتمعي السابق لأنه مجتمع مادي متفكك ، ومثل هذا الشعور والتقارب لا وجود له عندنا .

وشعروا بالفرق بين من يدخل الإسلام تقليداً أو لصلاحة ، ومن يدخله عن فهم وقناعة .

وقد حرصوا عند عودتهم أن يكونوا من عناهم الله بقوله : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيَنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ • لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١٢٢] ، وقالوا : ما أحرج قومنا وببلادنا إلى هذا الدين الذي يؤمن المجتمعات . ويحفظ الحقوق ، ويزيل الشحناء ويقوى الصّلات بين الناس ، ويكفل مصالح الضعفاء ، ويبيّن بالمعوزين ، والفقراء .

القرآن الكريم من الوجهة العلمية

نظرة عابرة على صفات الله تعالى في الكون

(١)

بقلم : فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوى

الأمين العام للأكاديمية الفرقانية ورئيس دار الشريعة بنغلوor - الهند

قد شاع سوء الفهم عن القرآن الكريم في مختلف فئات الناس ، فالبعض يزعمون أنه كتاب شرعي بحت وينبذون علومه الأخرى وراء ظهورهم ، أما الأوساط العصرية فإنها تظن أنه كتاب علمي بحت ويتخذون علومه الشرعية وراءهم ظهرياً ، فإما إلى إفراط وإما إلى تفريط ، فيتحتم علينا - إن - أن نستعرض هذا الأمر استعراضاً واقعياً حتى ننصف الكتاب الإلهي وننقى أذىاناً من هذا الإفراط والتفريط ، ولذلك فإنني إذ أعرف علوم القرآن الأساسية أذكر بعض المبادئ والكلمات التي تعبد الطريق إلى فهم القرآن الكريم من الوجهة العلمية ، كما أنها تضيّع فضيلة هذا العلم من حيث المصالح الدنيوية والأخروية ، ولكن هذا العلم - ومن سوء الحظ - مظلوم جداً ، وقد التزمنا هنا أن نتناول هذا الموضوع بالتعريف والدراسة في ضوء كتابات العلماء المتقدمين وأرائهم ، ولكن يجدر بنا - أولاً - أن نحدد موضوع القرآن ومباحثه.

موضوع القرآن ومباحثه:

إن نزول القرآن إنما كان للتوجيه الفكري السديد للنوع البشري ، ولم يكن منزويًا إلى المسائل الشرعية دون المشاكل العقلية والفكرية ، فقد قال تعالى : « هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان » [سورة البقرة ، الآية : ١٨٥] . فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن القرآن الكريم ليس هداية للمسلمين خاصة وإنما هو رائد للإنسانية جموعه يقوم بتوجيههم في مجالات الفكر والنظر ، فقد ورد في القرآن الكريم : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من أثره سألاً » .

خراش معي ولا تذكرة لأحد ، ونحن رائحون العشية ، فخرج الرجال فجروا جماعة من فتيانهم ، وأخذوا موى لهم ، يقال له مخلد ، وكان من أجود الرجال عدواً ، فكمروا في عقبة على طريقه ، فلما رأهم قد لاقوه في عين الشمس ، قال لها : يا أم خراش قتلتني ورب الكعبة ، لن ذكرتني ؟ فقالت : والله ما ذكرتك ورب الكعبة إلا لفتين من هذيل ، فقال لها : والله ما هما من هذيل ، ولكنهما منبني الدليل وقد جلسالي ، وجمعاً على جماعاً من قومهما ، فاذبهي أنت ، فإذا أجزت عليهما ، فإنهم لن يعرضوا لك لئلا تستوحش فأفوتهم ، فاركتعني بغيرك ، وضعني عليه العصا ، والنجة النجاة ، وكانت على قعود عقيلي يسابق الريح ، فلما دنا منهم وقد تلثموا وضعوا تمراً على طريقه وكساء ، فوقف قليلاً كأنه يصلح شيئاً ، وجازت بهم أم خراش فلم يعرضوا لها ، لئلا ينفر منهم ، وضعت العصا على قعودها ، وتواكبوا إليه ووثب يعود ، قال : فزاحمه على المحجة التي يسلك فيها على العقبة ظبي ، فسبه أبو خراش ، وتصاير القوم بمخلد ، يا مخلد أخذ أخذًا ، فقال : فات الأخذ ، فقالوا : ضرباً ضرباً ، فسبق الضرب ، فصاحوا رميأ رميأ فسبق الرمي ، وسبقت أم خراش إلى الحي فنادت لا إنما قاتل ، فقام الحي إليها ، وقام أبوه وقال : إن أبي خراش قد قتل ، فقام الحي إليها ، وقام أبوه وقال : ويحك ما كانت قصتك .. فأخبرتهم فقالوا : فإن كنت سمعت رميأ رميأ فقد أفلت منهم ، وهو منا قريب ، ثم صاح : يا أبو خراش ، فقال أبو خراش : يا لبيك وإذا هو قد وفاه على الألغاني : ج ٢١ ، ص ٢٣١]

ربكم ﷺ [سورة يونس ، الآية : ١٠٨] ، وفي موضع آخر : «الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» [سورة إبراهيم ، الآية ١١:] فما هي المجالات التي يقوم فيها هذا القرآن بالتوجيه والإرشاد؟ والجواب البسيط أنه دليل في جميع الأمور التي يبحث عنها ، فيجب علينا - إذن - أن نتبين العلوم والباحث التي تعرض لها القرآن الكريم إجمالاً أو تفصيلاً، فقد صرخ شيخ الإسلام ولی الله الدهلوی - رحمه الله - أن علوم القرآن الأساسية لا تخرج عن خمسة علوم :

- ١- علم الأحكام ، كالواجب والمندوب والمباح والمكره والحرام .
 - ٢- علم المخصصة والرد على الفرق الضالة .
 - ٣- علم التذكير بآلاء الله .
 - ٤- علم التذكير بأيام الله - يعني بيان الواقع التي أوجدها الله سبحانه وتعالى من جنس تنعيم المطاعين وتعذيب المجرميين .
 - ٥- علم التذكير بالموت وما بعد الموت .
- وتفصيل علم الأحكام منوط بذمة الفقيه ، وتبيان علم المخصصة منوط بذمة المتكلم (١) .

العلم الأول والثاني من هذه العلوم يتعلقان بالعقائد والعبادات والمعاملات ، والعلوم الثلاثة الأخرى علوم تذكيرية تهدف إلى تنبيه الإنسان الناوس من غفلته ، فالمراد من علم المخصصة أو المجادلة هو المحاجة مع الفرق الضالة والرد على عقائدهم الباطلة بالأدلة المنطقية ، ليكون في ذلك تنقية لعقائد المؤمنين وتطهير لإيمانهم ، والقرآن الكريم هداية من الله ونور مبين في جميع هذه العلوم ، فلا ينبغي لأحد أن يغض من قيمة أي واحد من تلك العلوم .

وفي هذا المقال أتناول العلم الثاني والثالث من علوم القرآن الكريم وهو علم المخصصة وعلم التذكير بآلاء الله بشئ من التفصيل ، وهذا العلم الأخير يتعلق بنعم الله تعالى وأياته في الكون ، وهو الذي ينبع منه عيون العلوم الحديثة . وأما علم العقائد فهو يبحث عن العقائد الزائفة لفرق الضالة ويثبت أساسيات الإسلام ومبادئه ، من التوحيد والرسالة والبعث بالأدلة العقلية ، وهذه العقائد الثلاث هي التي تدور حولها دعوة الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وهذه هي أساس الدين المنزلي من عند الله تعالى .

ينبغي ألا يغيب عن ذهاننا أن الإسلام في ماضي الزمان كان في مواجهة للقوى الشركية والكافرية ، ولكن الأوضاع - الآن - قد تغيرت كثيراً ، فإنه الآن في مواجهة للقوى الإلحادية والمادية التي تنكر بوجود أي إله البتة ، ومن هنا إن القرآن الكريم ينطوي على أدلة علمية وعقلية تطابق نفسية الأجيال المتناثرة إلى اليوم الموعود ، وهذا هو السر فيما إذا اشتمل القرآن الكريم على بيان العلوم الكونية والطبيعية ، أن يضطلع بأداء دوره في توجيه الإنسانية المتخبطة حسب المقتضيات العقلية المعتورة .

الأخلاق الإلهية سلم إلى المعرفة الربانية:

"علم التذكير بآلاء الله" يبحث عن نعم الله تعالى وأياته وابداعاته ، فهو يكشف عن عجائب آيات الله تعالى في صنعه ، وكوامل صفاته في خلقه ، فكما قال الإمام الغزالى - رحمه الله - :

"إن العلم الأعلى والأشرف علم معرفة الله تعالى ، فإن سائر العلوم ترداد له ومن أجله وهو لا يراد لغيره ، وهو الجواهر والباقي الصدف ، ولا بد من يطلب معرفة ذات الله تعالى وصفاته من أن ينعم النظر في أفعاله ، وبما أن هذا الكون

بجميع مظاهره ليس إلا أفعاله لله تعالى فلابد من دراسة تلك المظاهر ، أي الأشياء المادية للتوصل إلى معرفة صفات الله تعالى ، ومن معرفة صفاته يترقى الإنسان إلى معرفة ذاته تعالى ، فلا يستطيع أحد أن يطلع على ذاته تعالى إلا من سالم أفعاله وصفاته" (٢) .

وقد عمد الإمام الغزالي - رحمه الله - إلى الآيات التي تتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله فجمعها في كتاب قيم وأسماه : "جواهر القرآن" ، وهي سبعمائة وثلاث وستون آية ، ومعظم تلك الآيات مما يتعلق بالأشياء المادية والنظام الكوني من الوجهة العلمية ، وتلك الآيات الكريمة تنبئ بقدرة الباري تعالى وعظمته وربوبيته ورحمته ، ورأفته بالخلوقات وحكمته ، وروائع تدبيره ومصلحته ، ومن هنالك فإن الدراسة المستفاضة للأشياء المادية في ضوء العلوم الطبيعية إنما هي في الواقع دراسة لأفعال الله تعالى ، مما يؤدي إلى معرفة صفات الله الكاملة وذاته العليا ، وكما قال الإمام الغزالي : "ليس في الوجود إلا الله وأفعاله ، وكل ما سواه فعله" (٣) .

والحاصل أن الإنسان إذا قام بالدراسة المستفاضة لنظام الكون البديع تجلت له كوالل صفات الله تعالى ودلائل وحدانيته في هذا العالم المادي ، واجتلت العيون آثاره شرقاً وغرباً ، حتى كان الله تعالى قد تجلى لنا في هذا العالم فنستطيع رؤيته رأي العين ، والحقيقة أن الإنسان إذا قام بدراسة النظم البديع العاملة في المظاهر الكونية فاجأته عجائب صنع الله تعالى وب戴ائع خلقه عند كل رؤية وعند كل مشهد ، سواء كان ذلك ذرة صغيرة أو نظاماً شمسيّاً هائلاً ، كان ذلك ألواناً من الأزهار المبتسمة أو أنواعاً من الأوراق المخضرة ، سواء كان ذلك أرضاً أو نملة أو نحلاً في اجتماعيتها البديعية ، سواء طالعنا

إثبات العقائد الأساسية:

فإذا كانت عقيدة التوحيد والرسالة والبعث من العقائد الأساسية في الإسلام، فإن القرآن الكريم يؤكد على إثباتها أيمما تأكيد ، ويجعل هذا الكون الواسع ونظمه المدهشة دليلاً عليها ، حيث إن هذا العالم المادي بجميع ما فيه سائر دائئب حسب ضابطة مشروعة لا يحيد عنها قيد شعرة ، ولا يسري إليه أي تفاوت أو فطور ، وهذا مما يخبر بوجود مدبر يحرك وحدة جميع ماكينة الكون ، وهو معجز في أفعاله وصفاته ، كما قال تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيئ [سورة الملك ، الآيات : ٣-٤] .

وهذا الصنع العجيب لمصور الكون شامل لجميع العوالم من الحيوانات والنبات والسماءات والجمادات ، وقد لطفت إبداعاته ودق صنعه في جميع العوالم حتى إن العلماء الطبيعيين يصبحون مبهوتين دهشين بمشاهدة تلك الآثار ، ولا يكادون يستطيعون بيان تلك القوانين الإلهية الموعدة فيها ، فيسكتون متحيرين .

وإن القرآن الحكيم ليدعو الإنسان إلى التدبر في نظام الكون واستخراج النتائج المنطقية السليمة والبصائر الإلهية الموعدة فيه ، ليثبت وجود الله تعالى ووحدانيته ، وقدرته وربوبيته بالحجج العلمية القاطعة ، حتى لا يبقى ما يتعلق به معاند أو مجترئ ، فليس هناك أي تفاوت أو تغاير بين القرآن ونظام الكون أو بين العلم والقرآن ، بل إن العلوم الطبيعية لا تزيد على أن تشرح أو تفسر ما أجمله القرآن الكريم من إيحاءات ورموز في غضون آياته ، وهذا فإن العلوم الطبيعية لا تزال تصدق المعاني الحقة التي ذكرها القرآن الكريم ، والفرق البسيط بينهما فرق الإجمال والتفصيل ، وإن كنت في ريب مما بینا

فانظروا هل ترى أي كشف من الكشوف العلمية يفتدي أي تصريح من تصريحات القرآن الكريم رغم التغيرات الواسعة التي طرأت على الأفكار والنظريات ، فإن لم تجد فهل يحق لك أن ترتاب في أن هذا القرآن من عند الله .

القرآن يذكر بعض العلوم إجمالاً :

إن هناك خضماً من الأسرار والمعارف في القرآن الكريم والتي تتضح شيئاً فشيئاً في ضوء العلوم الحديثة ، وهكذا تتجدد إعجاز القرآن الكريم كل صباح ومساء ، قال تعالى : « يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم » الذي خلقك فسوّاك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك » [سورة الانفطار ، الآيات : ٨-٦]

يقول الإمام الغزالي في كتابه : جواهر القرآن : « لا يعرف كمال معنى قوله تعالى : « يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم » إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً ، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها » (٥) .

الآيات الكريمة المذكورة أعلاه ذكرت من أفعال الله تعالى ما يتعلق بعجائب الجسم الإنساني ، وقد تطورت الآن علوم عديدة لدراسة الجسم الإنساني ، من علم الحياة وعلم التشريح وعلم الفيزياء وعلوم الطب وغيرها من العلوم ، فقد يصدق اليوم ما صرحت به الإمام الغزالي قبل قرون ، ولكن الإنسان لم يستطع أن يعرف نفسه كلياً رغم جموع هذه العلوم ، فقد ظل حتى اليوم سرًا مجهولاً من حيث الوجهة العلمية ، وقد ألف الدكتور "ألكسندر كارل" كتاباً قيماً حول هذا الموضوع ، وهو : "الإنسان ذلك المجهول" (MAN THE UNKNOWN) (٦) ، وهذه الحقائق المذكورة تؤكّد صدق الآيات التالية من القرآن الكريم بكل وضوح ، قال تعالى : « وما أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » [سورة بنى إسرائيل ، الآية : ٨٥] .

مداداً لِّكلمات ربي * لنفَد البحَر قَبْلَ أَنْ تَنْفَد كُلُّمَاتِ رَبِّي * وَلَوْ جَئْنَا بِمُثْلِهِ
مَدَاداً » [سورة الكهف ، الآية : ١٠٩] .

القرآن بحرٌ زاخر :

وهناك أمثلة غيرها كثيرة تدل على أن القرآن الكريم يشتمل على رموز إجمالية حول علوم وفنون مختلفة مما يقتضي الفوضى في أعماق تلك العلوم والفنون لمن يحاول أن يطلع على شئ من أسرارها وعجائبها ، وتلك الرموز هي بمثابة العناوين التي صبت فيها روح تلك العلوم ، فالقرآن الكريم جامع لكثير من المعارف والحقائق ، يمكن أن يصل إليها الإنسان بعد قرون مديدة وبعد دراسات ربما طالت قرونًا ، وأعجب به كلامًا لا تخلق ديbagته من تلك التغيرات التي تطأ على الأفكار والنظريات ، بل إن الكشف الحديثة إنما تجدد ديbagته وتمطر عليها ماء من البهاء والرواء ، وتفتح كنوزًا مغلقة من معارفه وعجائبها ، وهل وراء ذلك من حجة واضحة وبينة علمية على أنه من عند الله ؟

نوعان من الحقائق :

القرآن يذكر نوعين من الحقائق العلمية التي تتصل بالظاهر المادي ، واحدة منها من جنس الإشارات الإجمالية ، والأخرى هي عجائب هذا الكون المادي وما يحيط به الهائلة ، وهي من "أسرار الربوبية" التي ذكرها القرآن الكريم في صورة المجاز والكناية أو التشبيه والاستعارة ، والتي لا تدرك إلا في ضوء العلوم الحديثة ، ومن أمثلة ذلك أن الله تعالى خلق النبات "أزواجاً" ذكر وأنثى ، وقد ذكرت هذه الحقيقة في القرآن الكريم بكل صراحة ، ولكن المفسرين ما زالوا يأخذون هذه اللفظة -الأزواج- في معناها المجازي ، فإنها كما تصدق على معنى الزوجين من الذكر والأنثى ، فهي كذلك تراد في معنى النوع أو الصنف ، فالإنسان لم يستطع أن يدرك هذه الحقيقة رغم هذا البيان الواضح إلا

ومن أفعال الله تعالى أنه جعل الشمس والقمر خلفه وقدرهما منازل ، فقال تعالى : « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحَسْبَانٍ » [سورة الرحمن ، الآية : ٥] ، وقال تعالى : « وَقَدْرَهُ مَنَازِلٍ لَّتَعْلَمُوا عَدْدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابِ » [سورة يونس ، الآية : ٥] ، وقال تعالى : « يَوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيَوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ » [سورة فاطر ، الآية : ١٣١] .

يقول الإمام الغزالي بعد ما ذكر هذه الآيات : "ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان ، وخصوصهما ، ولو لج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات تركيب السماوات والأرض ، وهو علم برأسه" (٧) .

إن القرآن الكريم يذكر الحقائق بغاية من الإيجاز ، ولا يستطيع الإنسان أن يفسرها حق تفسيرها ، وإن شئت فانظر إلى الإيجاز المعجز في قوله تعالى : « وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ » وفي أنفسكم أَفْلَا تَبْصَرُونَ » [سورة الذاريات ، الآياتان : ٢٠-٢١] .

إذا أردنا أن نفصل ما أجمله القرآن الكريم في هاتين الآيتين القصيرتين اقتضى ذلك أن نتعرض لجميع تلك الحقائق العلمية التي أودعت في الكرة الأرضية وفي نفس الإنسان وجسمه ، والتي تتطلب طول الباع في علوم الأرض والجغرافية والنبات والحيوانات والإنسان وعلم النفس ، وما إلى ذلك ، والله در العلامة ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، ما أوفى وأروع ما أتي به -قبل قرون- في كتابه القييم : "التبیان في أقسام القرآن" من بحوث وافية في شرح هذه الآيات الكريمة (٨) ، ومن المحقق أن المؤلفات العلمية بحذافيرها لا تستطيع أن تبرز جميع نواحي الآيات وجوانبها ، وهذا معنى قوله تعالى : « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ

بعد ظهور الاكتشافات الحديثة ، يقول الله تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » [سورة ياسين ، الآية : ٣٦] .

لم يستطع الإنسان أن يطلع على حقيقة كون النبات ذكرا وأنثى إلا في العصر الراهن ، وقد صرخ به القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً لتكون دليلاً على صدقه وواقعيته ، هذا إلى أن هذه الآية الكريمة تحتوي على حقيقة أخرى هي بمثابة أصل وكلية يتحدى الله بها الدنيا العلمية على بكرة أبيها ، وهي أن الله تعالى قد خلق في هذا الكون أزواجاً من الأشياء الأخرى غير الحيوانات والنباتات مما لا يعلمه الإنسان ، وهذه الكلية لا تختلف أبداً ، حتى ولو اهتدى الإنسان إلى وجود الأزواج في شيء من الأجناس الأخرى سوى الحيوانات والنباتات ، هذه هي الكلمات الربانية الحقة التي لا تختلف أبداً ، وليس فيها أي مجال للارتياب أو التشكيك .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة يضيق بها هذا المقال الموجز . [يتبع]

المواضيع :

(١) الملخص من : الفوز الكبير في أصول التفسير - ولـي الله الدهلوi : ص/١٥-١٦ ، طبعة كراتشي .

(٢) الملخص من : جواهر القرآن - للإمام الغزاوي : ص/٤٢ ، دار إحياء العلوم - بيروت ١٩٨٥ م .

(٣) نفس المرجع السابق : ص/٢٦ .

(٤) شرح الفقه الأكبر - للإمام أبي منصور الماتريدي : ص/٣٣ .

(٥) جواهر القرآن - للإمام الغزاوي : ص/٤٦ .

(٦) راجع : DR. ALEXIS CARREL, MAN THE UNKNOWN, Wilco Publishing House, BOMBAY, 1959

(٧) جواهر القرآن - للإمام الغزاوي : ص/٤٦ .

(٨) راجع : التبيان في أقسام القرآن - للعلامة ابن قيم الجوزية ، إدارات البحث العلمية والدعوة والإرشاد - الرياض .



قال الله - عزوجل - في كتابه الحكيم : « و أذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتي من كل فج عميق » [سورة الحج ، الآية : ٢٦] .
تلبيةً لهذا التأذين في آخر العقد الأول لشهر ذي الحجة من كل عام يهرع المسلمون من كل صوب وحدب ساعين إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ..
ويا له من مشهد مهيب تُسرّ له القلوب والسرائر ، مشهد تلاقى ملايين المسلمين وائتلافهم وتجمعهم في صعيد واحد ، تربطهم أوامر واحدة ويهودهم هدف واحد وتحد ضراعاتهم في تلبية واحدة ..

"لبيك اللهم لبيك" وقد تآخت نواياهم وصفت قلوبهم بيتهم إلى الله تعالى أن يتقبل منهم وأن يغفر لهم ما تقدم من ذنبهم ، هذه هي عظمة العقيدة الإسلامية السمحنة ، تجمع المسلمين من كل أقطار الأرض على كلمة سواء : "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إخوة في الدين والعقيدة والهدف ، لا يتفارقون مهما باعدت بينهم المسافات .

فهذا الحج الذي هو ركن هام من أركان الإسلام الخمسة يؤديه الحاج في أقدس بقاع الأرض ، بحاجة ملحة إلى بحثه ومراجعته مفهومه وتمحيص نكته

وبحص فلسفته حيناً بعد حين بين الناس ، لأنها احتل مكانة مهمة في حياة الإسلام الاجتماعية والفردية ، وانطلاقاً من هذه الأهداف السامية تقدمت بالسطور الآتية الهامة معرضاً عن تفاصيل الحج ومسائله وتفريعاته .

* تعريف الحج : لغة : الحج : بفتح الحاء ويجوز كسرها ، هو لغة :
القصد ، حج إلينا فلان : أي قدم ، وحجه يحجه حجاً ، قصده ، ورجل
محجوج أي مقصود ، هذا هو المشهور ، وقال جماعة من أهل اللغة : الحج :
القصد لمعظم ، والحج بالكسر : الاسم ، والحج : المرة الواحدة ، وهو من
الشواز لأن القياس بالفتح (١) ، وقال ابن منظور : تعورف استعماله في القصد
إلى مكة للنسك والحج إلى البيت خاصة ، تقول حج يحج حجاً ، والحج : قصد
التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة (٢) .

وأصطلاحاً : "قصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص
بشرط مخصوصة" (٣) ، وفي شرح كتاب : "الموسوعة الفقهية" هذا التعريف
هكذا : هو قصد موضع مخصوص (وهو البيت الحرام وعرفة) في وقت مخصوص
(وهو أشهر الحج) للقيام بأعمال مخصوصة وهي الوقوف بعرفة والطواف
والسعى عند جمهور العلماء بشرط مخصوصة (٤) .

* تاريخ مشروعيه الحج : على الصحيح : أن الحج فرض في أواخر سنة
تسع من الهجرة ، وأن آية فرضه هي قوله تعالى : «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّةُ
الْبَيْتِ» [سورة آل عمران : الآية : ٩٧] نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع
وهو رأي أكثر العلماء ، وأنه عليه السلام لم يؤخر الحج بعد فرضه عاماً
واحداً ، وإنما أخره عليه السلام للسنة العاشرة لعذر ، وهو نزول الآية بعد

فوات الوقت (٥) فكان حجه بعد الهجرة حجة واحدة سنة عشر ، كما روى
أحمد ومسلم .

* مكانة الحج في الإسلام : الحج خامس ركن من أركان الدين الإسلامي
الحنيف لقوله ﷺ : "بني الإسلام على خمس" وذكر منها : "حج البيت" (٦) .

قال القاضي حسين من الشافعية : الحج أفضل العبادات لاشتماله على المال
والبدن ، وقال الحليمي : الحج يجمع معاني العبادات كلها ، فمن حج فكان ما
صام وصلى واعتكف وزكي ورابط في سبيل الله وغزا ، ولأننا دعينا إليه ونحن في
أصلاب الآباء كالإيمان الذي هو أفضل العبادات .

والراجح عند الشافعية والحنابلة : أن الصلاة أفضل منه ، لأن الصلاة عماد
الدين (٧) .

* فرضية الحج وثبوته : وهو فرض على المستطيع مرة في العمر ، دل على
فرضيته الكتاب والسنة والإجماع ، فمن جحد وجوبه (أنكر فرضيته) أو شك
فيه فهو كافر ، ومن أقر بوجوبه وامتنع من فعله فالله حسيبه :

١- ثبوته في الكتاب ، بقوله تعالى : «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّةُ
الْبَيْتِ» [سورة آل عمران ، الآية : ٩٧] .

٢- وبالسنة الشريفة : ومنها حديث ابن عباس _{رض} قال : خطبنا رسول الله _ﷺ
فقال : "يا أيها الناس كتب عليكم الحج" ، فقام الأقرع بن حابس ، فقال : أفي
كل عام يا رسول الله ؟ فقال : "لو قلتها لوجبـت ولو وجـبت لم تـعملـوا بها ،
الـحجـ مرـةـ فـمـنـ زـادـ فـهـوـ تـطـوـعـ" (٨) .

٣- وباجماع المسلمين : من عهد رسول الله _ﷺ حتى يومنا هذا ، لم يخالف في
فرضيته أحد (٩) .

* أعمال الحج : عشرة وهي ما يأتي : [القوانين الفقهية : ص/١٣١-١٣٥].

١- الإحرام : نية الحج أو العمرة أو كليهما ، بأن يقول : نويت الحج أو العمرة وأحرمت به لله تعالى ، وإن حج أو اعتمر عن غيره ، قال : نويت الحج أو العمرة عن فلان ، وأحرمت به لله تعالى ، ثم يلبّي عقب صلاة ركعتي الإحرام.

٢- دخول مكة من أعلىها وهي كداء ، ثم دخول المسجد الحرام من باببني شيبة ، ثم طواف القدوم بالابتداء بالركن الأسود .

٣- الطواف : وهو ثلاثة : طواف القدوم ، وطواف الإضافة ، وطواف الوداع .

٤- السعي بين الصفا والمروة .

٥- الوقوف بعرفة وبمنى : يخرج إلى منى في اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية ، فيصل إلى الظهر والعصر ، ويبيت بها ، ثم يروح إلى عرفة بعد طلوع الشمس ، فيجمع بين الظهر والعصر مع الإمام في مسجد نمرة أو في غيره ، ثم يقف بعرفة حيث يقف الناس .

٦- المبيت بمزدلفة : وهي ما بين منى وعرفة ، ويجمع الحجاج بمزدلفة بين المغرب والعشاء مقصورتين بعد مغيب الشفق في ليلة العيد ، ويصلون الفجر في المشعر الحرام : وهو آخر أرض المزدلفة ، ويقفون للتضرع والدعاء ثم يدفعون منها قبل طلوع الشمس إلى منى .

٧- رمي الجمار : يرمي الحاج يوم النحر بمنى جمرة العقبة (وهي الجمرة الكبرى) بعد طلوع الشمس قدر رمح بسبع حصيات ، ويرمى سائر الجمرات الثلاث في أيام منى ، وهي ثاني العيد وثالثه ورابعه ، كل جمرة سبع

حصيات ، مبتدئاً بالجمرة الأولى (الصغرى) وهي التي تلى مسجد الخيف من جهة عرفات ، ثم الوسطى ، ثم جمرة العقبة ، بين الزوال والغروب .

٨- الحلق أو التقصير : والأول أفضل للرجال ، تقص المرأة ولا تحلق ، وتقطع من جميع شعرها نحو الأنملة ، ويدعو عند الحلق ، وذلك يوم النحر بعد رمي جمرة العقبة والذبح إن كان معه هدي ، ثم يأتي مكة ، فيطوف طواف الإفاضة وهو المفروض .

٩- الذبح : يذبح بعد رمي الجمرة ، ويجوز الحلق بعد الذبح ، والذبح قبل الجمرة ، ويجوز ذبح الهدي قبل طلوع الشمس .

١٠- طواف الوداع : مستحب عند المالكية ، واجب عند الجمهور ، ولا يؤمر به أهل مكة ولا من أقام بها من غير أهلها وإذا حاضرت المرأة بعد الإفاضة خرجت قبل الوداع عند المالكية (١٠) .

* حكمة الحج وفلسفته : إن الحكمة والفلسفة في الحج هي تسلية الحج والبيت لحنان المسلم وهيمانه ، لأن الشوق غريزة في الإنسان الحي السليم ، وحاجة من حاجاته ، فيبحث له عما يقضى به حاجته ، ويروى غلته ، وكان البيت العتيق وما حوله من شعائر الله ، والحج وما فيه من مناسك ، خير ما يحقق رغبته ، ويسلي حنانه وعاطفته ، كما عبر عنه الشيخ أبو الحسن علي الندوبي في كتاب له (١١) وقد قال الله تعالى بهذا الصدد : «وَإِذْ بُوأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً» وظهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود «وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» ليشهدوا منافع لهم ويدركوا اسم الله في أيام معلومات على رزقهم من بهيمة الأنعام «فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» ثم ليقضوا

البعث الإسلامي
الحج عبادة وفلسفه
 الحنيفية، وتعلو به كلمتها ، وهو قوله تعالى : « ملة أبيكم ابراهيم » [سورة الحج ، الآية : ٧٨].

فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن إمامها كخصال الفطرة ، ومناسك الحج ، قوله - عليه السلام - : "قفوا على مشاعركم ، فإنكم على إرث من إرث أبيكم" (١٥).

* **لاماح الحج :** قد كشف سماحة العلامة الشيخ الندوي النقاب عن هذا الموضوع بأروع شكل وأحسن عبارة فقال : "فمن أوضح ملامح الحج ، والروح المسيطرة على جميع أعماله ومناسكه ، هو الحب والهياق والتفاني ، واعطاء زمام الجسم والفكر للقلب والعاطفة ، وتقليد العشاق والمحبين ، وإمامهم وزعيمهم ابراهيم الخليل ، فحينما طاف الحب والهياق حول البيت الحرام ، وحينما تقبيل الحجر الأسود والاستلام ، وحينما سعي بين غايتين ، تقليد ومحاكاة للام الحنون حتى في تؤدتها وقاوها ، وفي جريها وهرولتها ، ثم قصد (لمنى) في يوم معين هو يوم التروية . ثم قصد إلى (عرفات) ووقف بساحتها وعرصاتها ، ودعاء وابتها ، ثم بيتوة في المزدلفة وعدوة إلى (منى) وحلق ونحر ، اقتداء لسنة ابراهيم ومحمد - عليهمما السلام - .

وأوضح ملامح هذا الحب والتقليد رمي الجمرات ، الذي ليس إلا تمثيلاً لـ صدر عن الخليل ، وفي تقليد أعمال المحبين تأثير غريب في انتقال عدوى الحب ، واتصال بالمركز الكهربائي ، الذي يجري منه التيار ، ووسيلة إلى جلب رحمة الله وشمول عنائه . وليس من ناق حلاوة الحب منظر أذ من هذا المنظر ، الذي يجتمع فيه المحبون الطائعون لتمثيل هذه القصة التي حدثت قبل آلاف من السنين . ولكن الله أفضى عليها الخلود . وطلب من جميع المحبين

وقد تفطن حجة الإسلام الغزاوي - رحمه الله - بذكائه النادر وفقهه الدقيق لأسرار التشريع لهذه النكتة ، فيقول : "فالشوق إلى لقاء الله - عزوجل - يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة ، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه أضافة ، والبيت مضاف إلى الله - عزوجل - ، وبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة ، فضلاً عن الطلب لنيل ما وُعد عليه من الثواب الجزييل" (١٢).

ويردفه شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوi ، فيشير إلى نفس النكتة ، و يجعلها حكمة الحج الأساسية ، فيقول : "و ربما يشتاق الإنسان إلى ربه أشد شوق ، فيحتاج إلى شئ يقضى به شوقه فلا يجده إلا في الحج" (١٣).

* **مقاصد الحج :** ومن مقاصد الحج الرئيسية تجديد الصلة بإمام الملة الحنيفية ومؤسسها ابراهيم الخليل - عليه السلام - ، والتشبّع بروحه ، والمحافظة على إرثه . والمقارنة بين حياتنا وحياته ، وعرضها عليها ، واستعراض ما يعيش فيه المسلمون في العالم وتصحيح ما وقع في حياتهم من أخطار أو فساد ، أو تحريف ، وإعادة ذلك كله إلى أصله ومنبعه ، فالحج عرضة سنوية للملة تضبط أعمال المسلمين وحياتهم ، ويتخلصون بها من نفوس الأمم والمجتمعات التي يعيشون فيها (١٤).

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوi : (ومن مقاصد الحج) موافقة ما توارث الناس عن سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فإنهمما إماماً الملة الحنيفية ومشربها للعرب . والنبي ﷺ بعث لظهوره به الملة

ورخيص ، فتثور في نفسه كوامن العزة والكرامة ، وددافع الجهاد لإعارة مجدنا وعزنا .

٧- الحج وسيلة قوية لتعارف المسلمين وتعاونهم ، وائتلاف قلوبهم وجمع كلمتهم ، فبالحج تحطم محاولات الأعداء في تمزيق الشمل وتفريق الصفوف ، وإقامة الحدود المصطنعة ، ويشعر المسلمون في الحج : أن لهم قوة كبيرة تحقق لهم أهدافهم لو نظمت ووحدت وجهت التوجيه الصحيح .

-8- الحج تجمع إسلامي عام دوري يستطيع فيه قادة الرأي من المسلمين في السياسة والاجتماع والثقافة والاقتصاد أن ينتهزوا فرصة اجتماعهم لعرض مشكلاتهم في إطار الدين ومناقشتهم في جو من الحب والإخاء ، واتخاذ الحلول والسبل الحازمة لها .

-٩- في الحج تكتل واتحاد الكلمة والمظهر القلب في التوجه إلى جهة واحدة ونحو هدف واحد ، وجمع لأشتات المسلمين في مشارق الأرض ومقاربها .

هذه بعض آثار الحج التي تعود على الفرد والمجتمع ولذلك كانت هذه الفريضة ركناً من أركان الإسلام الخمسة وقائمة في بنائه المتين (١٨).

* فضائل الحج : والحج له فضائل عظمى ومكانة سامية وأثر كبير في غفران الذنوب والآثام ، فرغب الشارع في أداء فريضة الحج ، وإليكم بعض ما ورد في ذلك :

= فعن ابن شماسة رض قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً ، وقال : فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ص ، فقلت : يا رسول الله أبسط يمينك لأبايعك فبسط يده فقبضت يدي ، فقال : مالك يا عمرو ؟ قال : أردت أن اشت ط ، قال : تست ط مازا ؟ قال : أن يُغفر لي ، قال : ما علمت يا

* آثار الحج : في الحج فوائد عظمى وأثار كبرى تعود بالخير العميم ، الرحمن(١٦).

- الحج برهان عملي من المؤمن على أنه يفضل حب الله تعالى على أهله وماله
عمله ودياره ، فيتحمل مشاق السفر ومخاطر الطريق ، تلبية لدعوة الله وابتغاء
ضوانه .

- في الحج تعويد للحجاج على الصبر ، تحمل الشدائـد ، ومقارقة الأهل والأولاد
الأوطان وتمرين عملي على حياة الخشونة وشفاف العيش كي يكون المسلم
درـباً على خوض المعارك واقتحام الخطوب .

٢- فيه تقوية لإيمان ، وتهذيب للنفس ، وتكفير للذنب لأن المؤمن يتفرغ
لله للعبادة والتفكير وذكر الله ، لا تشغله هموم الحياة ، ولا تفتنه بهارجها
لزائلة ، فعن النبي ﷺ قال : "من حج فلم يرث ، ولم يفسق رجع من ذنبه
ب يوم ولدته أمه" (١٧) .

- وفي الحج المساواة التامة ، والأخوة الإنسانية تتحقق بأجل صورها ، فلا
فرق بين أبيض وأسود ، ولا بين فقير وغني ولا بين رئيس ومرؤوس ، فتكون
هذه المشاهد سبيلاً لغرس هذه المبادئ الإنسانية في نفس المسلم بشكل عملي .

- يكتسب المسلم في الحج ثقافة واسعة ، وخبرة عملية حيث يختلط بالناس مختلف ديارهم وأوطانهم ، فيتعرف أخبارهم ومشاعرهم .

- يرى المؤمن البقاع الطاهرة التي شهدت مولد الإسلام واعتزت ب موقف
رسول الكريم ﷺ وصحابه المجاهدين الأبطال ، الذي ضحوا بكل غال

عمره أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله (١٩) .

= عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم مَاذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم مَاذا ؟ قال : حج مبرور : والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالفه إثم ، وقال الحسن : أن يرجع زاهداً في الدنيا وراغباً في الآخرة (٢٠) .

= عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : إني جبان ، وإنني ضعيف فقال : هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج (٢١) .

= عن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : جهاد الكبير ، والضعف والرقة ، الحج (٢٢) .

= وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : يا رسول الله ! ترى الجهاد أفضل العمل ، أفلأ نجاهد ؟ قال : لكن أفضل الجهاد ، حج مبرور (٢٣) .

= عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (٢٤) .

* الوعيد الشديد :

وقد ورد تحذير شديد لمن ملك زاداً أو راحلة ولم يحج :

= فعن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال : من ملك زاداً أو راحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصراوياً ، وذلك لقول الله تعالى في كتابه : « وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » [سورة آل عمران ، الآية : ٩٧] .

المواضيع :

(١) تاج العروس : المادة ، حج

(٢) لسان العرب : ٢٢٦/٢ .

دراسات وأبحاث :

(١)

بقلم : الدكتور أكرم ضياء العمري



تعتمد دراسة السيرة النبوية على مصادر متعددة ، منها الأصلية ومنها التكميلية ، فمن المصادر الأصلية في دراسة السيرة ، القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكتب الدلائل والشمائل ، وكتب السيرة المختصة والتاريخ العامة ، أما المصادر التكميلية فهي لا تختص بالسيرة أو التاريخ ، بل تتناول موضوعات أخرى لكنها تفي في حقل دراسة السيرة ، مثل كتب الأدب ودواوين الشعر وكتب الرجال والترجم وكتب الجغرافية التاريخية وكتب الفقه وكتب الأنساب ومعاجم اللغة .. إلخ .

ولا شك أن استيعاب هذه المصادر عند دراسة السيرة يعطي (أكمل صورة ممكنة) وهي صورة واضحة فيها كثير من التفاصيل .

وسأحاول إعطاء فكرة عن هذه المصادر وقيمتها وكيفية استعمالها ، وأول ما ينبغي أن يلتفت إليه الباحث أن هذه المصادر تتباين قوة وضعفًا وأصالة ووضعًا ، لذلك لا ينبغي أن توضع في مصاف واحد وتعامل على السواء ، فلا يمكن معارض آية قرآنية أو حديث صحيح برواية من كتب التاريخ أو الأدب (١) ، فلابد إذاً من تقويم هذه المصادر ووضعها في الموضع الذي تستحق .

ويقف القرآن الكريم في مقدمة مصادر السيرة (٢) ، والقرآن هو كلام الله تعالى المنزّل على نبيه محمد ﷺ لفظاً ومعنىًّا بطريق الوحي ، ويتضمن بيان

(٣) كتاب التعريفات : ص/٧٨ .

(٤) الموسوعة الفقهية : ج/١٧ ، ص/٢٣ ، بإشارة من فتح القدير للكمال بن الهمام .

(٥) حاشية ابن عابدين نقلًا عن ابن القيم : ١٩٠/٢ .

(٦) رواه البخاري : ٥/١ ، ومسلم : ٣٢/١ . (٧) راجع : الفقه الإسلامي وأدلته : ١٠/٣ .

(٨) رواه أبو داؤد : ص/٢٤١ ، والنمسائي : ١/٢ ، وابن ماجة : ص/٢١٣ ، وقيل صحيح

الإسناد كما في مسائل الدلالة : ص/١٣٩ . (٩) فقه العبادات : ص/٤٦٥ .

(١٠) انظر : الفقه الإسلامي وأدلته : ٧٧/٣-٧٩ . (١١) الأركان الأربع : ص/٢٤١ .

(١٢) إحياء علوم الدين : ٢٤/١ . (١٣) حجة الله البالغة : ٧٥/١ .

(١٤) انظر : الأركان الأربع : ص/٢٤٩ . (١٥) حجة الله البالغة : ٥٦/٢ .

(١٦) راجع : الأركان الأربع - للعلامة الشيخ الندوى : ص/٢٥١ .

(١٧) رواه البخاري : ٢٠٦/١ ، ومسلم : ٤٣٦/١ .

(١٨) بتصرف يسير من مجلة "منار الإسلام" العدد الثاني عشر ، السنة الثامنة عشرة .

(١٩) مشكاة المصابيح : ١٤/١ .

(٢٠) فقه السنة : ٥٥٠/١ ، والحديث مروي في البخاري : ٢٠٦/١ .

(٢١) رواه عبد الرزاق والطبراني ورواته الثقات كذا في المصدر السابق .

(٢٢) رواه النسائي بإسناد حسن .

(٢٣) رواه البخاري : ٢٠٦/١ .

(٢٤) رواه البخاري : ٢٠٦/١ ، ومسلم ٤٣٦/١ .

(٢٥) رواهما الترمذى : ١٦٨/١ .

(٢٦) رواه أبو داؤد : ص/٢٤٢ .

(٢٧) كتاب الأذكار - للنووي : ص/٢١٢ .

وينبغي التفطن إلى أن الإفادة التامة من القرآن الكريم لا تتم إلا بالرجوع إلى كتب التفسير الموثقة ، وخاصة التفسير بالتأثر مثل تفسير الطبرى وتفسير ابن كثير ، وينبغي أيضاً الرجوع إلى كتب الناسخ والمنسوخ ، وكتب أسباب الفزول وغيرها مما يتصل بالقرآن وعلومه .

إن بعض المؤرخين المعاصرين يأنفون من الرجوع إلى هذه المؤلفات ، ويعتمدون على ذوقهم في فهم أساليب اللغة ومعانيها مما يؤدي بهم إلى الوقع في أخطاء كبيرة ، مثل تفسير المستشرقين لقوله تعالى : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمْمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ » حيث ذهبوا إلى أن الأممية هنا تعني الجهل بالدين لا الكتابة ، في حين أن القرآن الكريم وصف النبي ﷺ بأنه "النبي الأمي" ولا يعقل أن يكون النبي جاهلاً بالدين !!! (٧) .

إن النزاهة العلمية تقتضي الرجوع إلى كتب التفسير الموثقة واعطاء النصوص القرآنية معانيها الصحيحة المراد ، وليس تأويلها تبعاً للهوى رغبة في دعم رأي أو مذهب ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله : "من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار" (٨) .

أما عن أهمية الحديث في دراسة السيرة المطهرة ، فإن الأحاديث توضح العقائد والأداب الإسلامية ، وتبيّن أحاديث الأحكام الناجي العبادية والتشريعية من صوم وصلاة وحج وزكاة ونظم سياسية ومالية وإدارية ، ولا يمكن تكامل تصور الإسلام إلا بمعرفة الحديث ، وكل هذه الجوانب التي تناولتها الأحاديث صلة بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في عصر النبي ﷺ ، وما تلاه ، لأن المسلمين التزموا - بتطبيق "السنة" في حياتهم إلى حد كبير .

العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية ، وترد فيه آيات الأحكام ذات الأهمية الكبيرة في بيان النظم الإسلامية ونشأتها ، فهي تلقي ضوءاً على التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عمل بمقتضها النبي الكريم ﷺ في إدارة الدولة الإسلامية الأولى .

وفي القرآن الكريم ذكر لبعض الأحداث التاريخية في عصر السيرة مثل بدر ، أحد ، الخندق ، حنين (٣) ، حيث يصور الظروف والأجواء العامة التي وقعت فيها الغزوات والأحداث الأخرى الهامة ، وخاصة الأبعاد النفسية مما لا نستطيع الحصول عليه - بالدقة والصدق التي ترد في القرآن الكريم - من المصادر الأخرى .

وكذلك نجد فيه تصويراً دقيقاً للصراع الفكري والمادي بين المسلمين والمهدود في الحجاز (٤) وبإشارة القرآن الكريم إلى الأمم الماضية وسع النظرة التاريخية عند المسلمين فشملت دراستهم التاريخية الأنبياء السابقين والأمم الماضية ، وبतطرقه إلى أحداث خارج شبه الجزيرة العربية كالصراع بين الروم والفرس جعلهم يهتمون بالتاريخ العالمي فيسجلون أخبار الروم والفرس والترك والأحباش وغيرها (٥) .

ولكن ينبع أن لا نتوقع ورود تفاصيل عن الأحداث التاريخية في القرآن الكريم لأنه ليس كتاباً في التاريخ بل هو دستور للحياة ، ثم إن هناك صعوبة في معرفة أسباب وقت نزول كثير من الآيات ، إما لعدم ورود روایات في ذلك أو لتضارب الروايات الواردة (٦) مما يحتاج إلى تحقيق لتمييز الروايات الصحيحة أولاً ثم إزالة التعارض إن وجد بعد ذلك .

صدق النبي ﷺ .

وكذلك فإن بعض مصنفات الحديث تخصص قسماً للمغازي والسير مثل صحيح البخاري (٩) .

ولا شك أن مادة السيرة في كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روایات كتب المغازي والتاريخ العامة ، وخاصة إذا أورتها كتب الحديث الصحيحة لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحیص الحديث ونقده سندًا ومتنا ، وهذا التدقیق والنقد الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية ، ولكن ينبغي التفطن إلى أن كتب الحديث -بحكم عدم تخصصها- لا تورد تفاصيل المغازي وأحداث السيرة بل تقتصر على بعض ذلك ، مما ينضوي تحت شرط المؤلف أو وقعت له روايته ، ومن ثم فإنها لا تعطي صورة كاملة لما حدث ، وينبغي إكمال الصورة من كتب

السيرة المختصة ، ولا فقد يؤدي ذلك إلى لبس كبير (١٠) .

ولكن بسبب ترتيب الأحاديث في كتب الحديث إما على الرواية من الصحابة مثل كتب المسانيد ومن أجلها مسند الإمام أحمد بن حنبل أو على المواضيع مثل الكتب الستة ، دون مراعاة عنصر الزمن في كلا الترتيبين ، لذلك تبرز أمام الباحث صعوبة تحديد الأحاديث زمنياً ، على أن كتب السير والتاريخ المرتبة على السنين تسد هذا النقص في كثير من الحالات ، إن أقدم كتب الحديث الشاملة التي وصلت إلينا هي : موطأ مالك وصحیح البخاري ومسلم وسنن أبي داؤد والترمذی والنمسائی وابن ماجة ومسند الدارمی ومسند أحمد بن حنبل (١١) .

أما كتب الدلائل والشمائل ، فهي تتناول المعجزات والدلائل التي تبين

ورغم أن كتب الحديث اشتملت على أبواب في علامات النبوة وآياتها ودلائلها (١٢) وخصائص الرسول ﷺ ، لكن أقدم من أفردها محمد بن يوسف الفريابي (ت ٢١٢ هـ) وهو محدث ثقة ثبت في كتابه : "دلائل النبوة" ثم على ابن محمد المدائني (ت ٢١٥ هـ) في كتابه : "آيات النبي" (١٣) وداود بن علي الأصبهاني (ت ٢٧٠ هـ) في كتابه : "أعلام النبوة" وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في مؤلفه : "أعلام رسول الله" وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) في كتابه : "أعلام النبوة" وأبو بكر بن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) وأبو عبد الله بن مندة (ت ٣٩٥ هـ) وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) وقد طبع مختصر منه ، وفيه روايات كثيرة ضعيفة ، والقاضي عبد الجبار المعتزي (ت ٤١٥ هـ) في كتابه : "تشبيت دلائل النبوة" وهو مطبوع .

وأبو العباس جعفر بن محمد المستغري (ت ٤٣٢ هـ) وأبو بكر أحمد بن الحسين البهقي (ت ٤٥٨ هـ) وكتابه مطبوع ، ويضم أحاديث صحيحة وحسنة وأخرى ضعيفة وموضوعة ، وقد امتدح الحافظ الذهبي هذا الكتاب (١٤) .

وأبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) وكتابه مطبوع ، وأبو القاسم إسماعيل الأصفهاني (ت ٥٣٥ هـ) ، وعمر بن علي بن الملقن (ت ٤٨٠ هـ) في كتابه : "خصائص أفضل المخلوقين" وأخيراً جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه : "الخصائص الكبرى" وهو مطبوع ويتناول السيرة والدلائل والشمائل ، وكتب الخصائص كثيرة فاقتصرت على بعضها ، وليست هذه القائمة مشتملة علىسائر ما ألف ، فهناك مؤلفات أخرى في هذا الموضوع .

أما كتب الشمائل فتناول أخلاق وآداب وصفات النبي ﷺ ، وأقدم من أفردها : داؤد بن علي الأصبهاني (ت ٢٧٠ هـ) في كتابه : "صفة أخلاق النبي"

وكذلك فإن التبكيير في كتابة السيرة قلل إلى حد كبير من احتمال تعرضها للتحريف أو للمبالغة والتهويل أو للضياع .

ولقد كتبت عدة دراسات حديثة عن رواد كتابة السيرة من التابعين ومن تلامهم (١٦) ، ولكنها لم تهتم ببيان حالهم من الجرح والتعديل ولم تقوم مؤلفاتهم من زاوية حديثية ووفق قواعد مصطلح الحديث وهم : ابان بن عثمان بن عفان (١٠١-١٠٥) وهو محدث ثقة من التابعين ، عروة بن الزبير بن العوام (١٧) (ت ٩٤ هـ) ، وهو محدث ثقة من التابعين ويعد أحد الفقهاء السبعة المشهورين في المدينة .

عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣هـ) محدث ثقة . له كتاب المغازي (١٨) ، عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١١٩هـ) وهو محدث ثقة ، محمد ابن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) وهو من كبار المحدثين في عصره وثقة جهابذة علماء الجرح والتعديل ، وهو أول من استخدم طريقة جمع الأسانيد ليكتمل السياق وتتصل الأحداث دون أن تقطعها الأسانيد . وقد انتقد على الزهري تلفيقه الحديث عن عدة من شيوخه دون أن يفرد حديث كل واحد منهم عن الآخر . لكن هذا الانتقاد الذي حكاه القاضي عياض عن القدامى رده كبار العلماء مثل النووي والعرّاقي . حيث أوضحا أن عمله جائز ما دام قد بين ذلك وما دام الجميع ثقات . [انظر: النووي شرح صحيح مسلم: ٦٢٨/٥ ، والعرّاقي : طرح التثريب : ٤٧/٨ .

يزيد بن رومان الأستاذ المداني (ت ١٣٠هـ) تابعي ثقة . ألف في المغازي
معتمداً على عروة والزهري . يروي عنه ابن اسحاق (١٩) . عبد الله بن أبي
بكر بن عمرو بن حم (ت ١٣٥هـ) وهو محدث ثقة من التابعين . موسى بن

ما ذكر ابن النديم (١٥) والحافظ الترمذى (ت ٥٢٧٩) في كتابه : "الشمائل
والمخائص المصطفوية" وهو مطبوع .

نبوية والخصائص المتصوفية" ومتى ١٣٦٩هـ في كتابه:
ثم أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن حيان الأصفهاني (ت ١٣٦٩هـ) في كتابه:
خلافة الرسول وآدابه" وهو مطبوع .

شرف المصطفى" ، ثم ابو العباس المسعفري (ت ١٤٥٣) يـ

وخرج أحاديثه الحافظ السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه : "مناهل الصفا في صطفى" وهو مطبوع أيضاً ، وهو كتاب جامع .

وشرحه عدد من العلماء منهم علي القاري (ت ١٠١٤هـ) في كتاب "شرح شفا" مطبوع ، والخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) في كتابه : "نسيم الرياض في شرح شفا" - للقاضي عياض ، ثم صنف الحافظ ابن كثير (ت ٤٧٧٤هـ) كتابه : "شمائل الرسول" وهو مطبوع .

أما كتب السيرة المختصة فإنها تلي من حيث الدقة القرآن الكريم والحديث
الشريف . وما يعطيها قيمة علمية كبيرة أن أوائلها كتبت في وقت مبكر جدًا .
على وجه التحديد في جيل التابعين حيث كان الصحابة موجودين فلم ينكره
لم يكتتبوا في كتاب السيرة مما يدل على إقرارهم لما كتبوه ، والصحابة على علم دقيق و
واسع بالسيرة لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها ، وكانت محبتهم للرسول
تعلقهم به ورغبتهم في اتباعه وأخذهم بسننته في الأحكام سبباً في ذيوع أخبار
السيرة ومذاكرتهم فيها وحفظهم لها . فهي التطبيق العملي لتعاليم الإسلام .

نحو الحجة ١٤١٧هـ

البعث الإسلامي - ع/٤ - ج/٤

كذبه فقد رد على الاتهام عدد من الأئمة النقاد منهم الإمام أحمد بن حنبل ، وقال الحافظ الذهبي : "لا ريب أن ابن اسحاق كثُر وطُول بأنساب مستوفاة ، اختصارها أملح ، وبأشعار غير طائلة حذفها أرجح ، وبآثار لم تصحح ، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكن عنده ، فكتابه يحتاج إلى تنقية وتصحيح ، ورواية ما فاته" (٢٧) .

وقد أجاد الحافظ الذهبي في بيان مرتبة حديثه فقال عنه : "له ارتفاع بحسبه ولا سيما في السير ، وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن ، إلا فيما شذ فيه فإنه يعد منكرًا" (٢٨) ، وجاء في "طرح التشريف شرح التقريب" : ٧٢/٨ : "الشهور قبول حديث ابن اسحاق إلا أنه مدلس فإذا صرخ بالتحديث كان حديثه مقبولاً" ، ولا يعني ذلك توثيق سائر مرويات كتابه في السيرة ، فقد أورد فيها روايات منكرة ومنقطعة كما قال عنه الحافظ الذهبي في "ميزان الاعتدال" : ٤٦٩/٣ : "صالح الحديث ماله عندي ذنب إلا ما قد حشاه في السيرة من الأشياء المنكرة والمنقطعة" .

أبو عشر السندي (ت ١٧١هـ) وهو بصير في المغازي ضعيف في الحديث ، لكن ضعفه نسبي يكتب معه حديثه ، لا سيما حديثه عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس تمشياً مع رأي الطبقة المتوسطة من النقاد ، لأن منهج المحدثين الأخذ بقول الطبقة المتوسطة في التجريح إذا تعارض مع قول الطبقة المتشددة (٢٩) .

وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن حزم المدني (ت ١٧٦هـ) محدث ثقة في كتابه : "المغازي" (٣٠) .

عقبة (ت ١٤٠هـ) وهو محدث ثقة من تلاميذ الزهرى ، وقد أثنى الإمام مالك على كتابه في المغازي ، وقال : إنه أصح المغازي (٢٠) ، وقال يحيى بن معين : "كتاب موسى بن عقبة عن الزهرى من أصح هذه الكتب" (٢١) ، وقال الإمام الشافعى : "وليس في المغازي أصح من كتاب موسى بن عقبة مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره" (٢٢) ، وقال الذهبي : "وأما مغازي موسى بن عقبة ، فهي في مجلد ليس بالكبير ، سمعناها وغالبها صحيح ومرسل جيد ، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة" (٢٣) .

محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (ت ١٣١هـ) في كتابه : "المغازي" (٢٤) ، سليمان بن طرخان التيمي (ت ١٤٣هـ) وهو محدث ثقة من التابعين ، معمر بن راشد (ت ١٥٣هـ) وهو محدث ثقة من تلاميذ الزهرى أيضًا : "كان من أووعية العلم مع الصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف" (٢٥) .

محمد بن اسحاق (ت ١٥١هـ) من تلاميذ الزهرى ، إمام في المغازي لكن مروياته لا ترقى إلى درجة الصحيح بل الحسن بشرط أن يصرح بالتحديث لأنه مدلس ، وتحتوي سيرته على الحسن والضعف معاً ، وقد قال ابن عدي : "وقد فتشت أحاديثه فلم أجد في أحاديثه ما يتهدأ أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ أو يهم كما يخطئ غيره ، ولم يختلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به" .

وهذه الشهادة عظيمة الأهمية لا ل مكانة ابن عدي ولتشدده في التوثيق فقط ، بل لأنها مبنية على سبر الروايات وليس على نقل أقوال النقاد القدامي فقط والتي تدور حول اتهام ابن اسحاق بالقدر وبالتشيع وبالتدليس (٢٦) ، ومرة باحتمال كذبه في الرواية عن فاطمة زوجة هشام بن عروة بن الزبیر ، ولم يثبت

يدل على صدقه في الأخبار ، ويمتاز المدائني بتناوله موضوعات من السيرة أفردها في مصنف ، وهي مهمة في دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للسيرة .

وعبد الله بن محمد بن فضيل الحراني (ت ٢٣٤هـ) له كتاب المغازي وهو

ثقة حافظ ، وصالح بن اسحاق الجرمي النحوي (ت ٢٢٥هـ) ، كان جليلاً في الحديث والأخبار ، وله كتاب في السيرة عجيب (٣٢) ، واسماعيل بن جميع (ت ٢٧٧هـ) في كتابه : "أخبار النبي ومغaziه وسرایاه" (٣٣) ، وأحمد بن الحارث الخراز (ت ٢٥٨هـ) في كتابه مغازي النبي وسرایاه وأزواجه ، عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري (ت ٢٧٦هـ) في كتابه : "المغازي" وهو صدوق يخطئ ، وابراهيم بن اسماعيل العنبرى الطوسي (ت ٢٨٠هـ) في كتابه : "المغازي" ، واسماعيل بن اسحاق القاضي (ت ٢٨٢هـ) في كتابه : "المغازي" .

وقد ذكرت كتب التراجم أسماء عدد من التابعين وأتباعهم ومن تلامهم وصفتهم بالعلم بالسيرة والاهتمام بها ، مثل أبي اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى (ت ١٢٧هـ) ، ويعقوب بن عتبة بن المغيرة المدنى (ت ١٢٨هـ) ، وداود بن الحسين الأموي (ت ١٣٥هـ) ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز الحنيفي (ت ١٦٢هـ) ، ومحمد بن صالح بن دينار (ت ١٦٨هـ) ، وعبد الله بن جعفر المخرمي المدنى (ت ١٧٠هـ) .

وهؤلاء لم تصرح المصادر بتأليفهم كتبًا في السيرة بل أشارت إلى عنایتهم واهتمامهم بالتحديث بها (٣٤) .

لذلك لم أثبتهم ضمن أسماء المؤلفين في السيرة واكتفيت بهذه الإشارة إليهم.

[يتبع]

يحيى بن سعيد الأموي (ت ١٩٤هـ) محدث ثقة صنف المغازي ، الوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٦هـ) محدث ثقة ، ويونس بن بكير (ت ١٩٩هـ) وهو أحد رواة سيرة ابن اسحاق قوله زيادات على المغازي كما ذكر الحافظ ابن حجر (٣١) .

محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) وهو ضعيف عند المحدثين مع غزاره مارته العلمية ، ولا تصلح مروياته للاحتجاج بها فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، ولكنها تنفع في وصف تفاصيل الأحداث مما لا يتصل بالعقيدة والشريعة ، والملحوظ في استقراء مغازي أنه يسوق روايات كثيرة ، من طرق فيها رجال لا نجد لهم تراجم في كتب علم الرجال ، وأما الروايات التي ينقلها ابن سعد عن الواقدي فيبدو أنه انتقاها ، حيث نجد تراجم رجال الاسناد في كتب علم الرجال ، ومعنى ذلك أن أسانيد الواقدي فيها رجال ليست لهم رواية في الحديث ، لذلك لم تترجم لهم كتب الرجال ، أو أنهم مختلفون ، وضع أسماءهم الواقدي أو بعض شيوخه .

ومن هنا يتضح سبب اتهام المحدثين النقاد له بالكذب والوضع وحكمهم عليه بأنه متزوك ، ولا شك أن جمع مرويات الراوي ودراستها والحكم عليه من خلالها كان منهج كثير من الأئمة النقاد في الحكم على الرواية المكثرين .

محمد بن عائذ الدمشقي (ت ٢٣٤هـ) محدث ثقة ، وقد قرأ الحافظ ابن حجر جزءاً منتقى من مغازييه - كما ذكر في المعجم المفهرس ورقة ٢٧/أ .

علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ) ذكر ابن عدي أنه ليس بالقوى في الحديث ، وترجم له العسقلاني في لسان الميزان - وهو كتاب يختص بتراجم الضعفاء - مما يدل على عدم توثيقه له في الحديث ، ولكن ورد في ترجمته ما

على سوءه وكتب السيرة توضح إنه انذر ببني المصطلق ، فلو اقتصرنا على رواية الصحيحين دون أن نتبين حكم الإسلام في إنذار العدو لوقعنا في خطأ ولبس (انظر محمد الغزالى : فقه السيرة : ط/٤ ، ص/١٠ ، ٣٠٨).

(١١) يعطي كتاب : "مفتاح كنوز السنة" لفنونك فكرة عن كمية الأحاديث المهمة المتعلقة بموضوعات السيرة كما يعين كتاب : "المعجم المفهرس في ألفاظ الحديث النبوي" لفنونك وجماعة من المستشرقين على تحرير أحاديث السيرة .

(١٢) صحيح البخاري : ١٤٠/٢ ، ط/بولاق ، وصحيح مسلم وغيرهما من الكتب .

(١٣) ابن النديم : الفهرست : ص/١١٣ .

(١٤) سير أعلام النبلاء : ٦/١١٦ .

(١٥) الفهرست : ص/٢٧٢ .

(١٦) من الدراسات الشاملة في تاريخ كتابة السيرة .

هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها .

مارغوليوس : دراسات عن المؤرخين العرب .

عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب .

صالح العلي : فصل ضمن كتابه : "محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام" .

جود علي : فصل في بداية كتابه : "تاريخ العرب في الإسلام ، السيرة النبوية" .

سيدة اسماعيل كاشف : دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي .

مارسدن جونس : مقدمته لكتاب : "مغازي الواقدي" .

حسين نصار : نشأة التدوين التاريحي عند العرب .

وكتب بحوث خاصة بواحد من رواد المغازي مثل مقال الدوري : "دراسة في سيرة النبي ﷺ ومؤلفها ابن اسحاق" ودراسة Fuck عن محمد بن اسحاق (بالإنجليزية) ومقال

الهوامش :

(١) ممن وقع في هذا الخطأ أبو رية في كتابه : "أضواء على السنة المحمدية" ، وانظر التنبيه عليه في "مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص/٢٩٣-٢٩٤ .

وانتقد جواد علي كلا من المستشرقين شبرنكر وكايتاني لاعتمادهما على الشاذ والغريب والضعيف والروايات المتأخرة وتقديمهما ذلك على الروايات المعتبرة في دراستيهما للسيرة بغية اثارة التشكيك فيها "جواد علي : تاريخ العرب في الإسلام ، السيرة النبوية : ص/٩-١١" .

(٢) حل محمد عزة دروزه الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة في كتابه : "سيرة الرسول" .

(٣) نجد تفصيلاً عن بدر في سورة الأنفال ، وعن أحد في سورة آل عمران ، وعن الخندق في سورة الأحزاب ، وعن حنين في سورة التوبه ، كما أشارت آيات في سور أخرى إلى هذه الغزوات .

(٤) انظر عن الصراع الفكري سورة البقرة ، وعن الصراع المادي سورة الحشر والأحزاب مثلاً.

(٥) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب : ص/١٨-٥١ .

(٦) صالح العلي : محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام (فصل المصادر) .

(٧) صبحي الصالح : علوم الحديث : ص/١٥-١٦ .

(٨) مقدمة تفسير ابن كثير .

(٩) انظر كتاب المغازي في الجزء الخامس منه .

(١٠) ورد في الصحيحين : أن النبي ﷺ هاجم بني المصطلق وهم عaron (أي بفتحة دون إنذار) وهو يخالف منهجه ﷺ المتمثل بالأية الكريمة : « وإن خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم

الثقافة الإسلامية :



(الحلقة الثانية)

بقلم : الدكتور مصطفى عبد الرحيم آدم رشاش
أستاذ مشارك وعبد كلية التراث الإسلامي
جامعة الإسلامية - أوغندا

الشرعية والفلسفة الدستورية العامة :

يتضح من تعريف الدستور بأنه : القانون الذي يحدد شكل الدولة ونظام الحكم فيها ، ويبين اختصاص كل سلطة من السلطات الثلاث ، وينظم العلاقة بين الدولة والأفراد ، ويبين حقوقها وواجباتها وحقوقهم وواجباتهم ، يتضح من هذا كله أن الدستور بالمفهوم المعاصر يعني وضع السياسات العامة للدولة وبيان ما لها وما عليها وما لمواطنيها وما عليهم ، وبما أن هذه الفاهيم الدستورية لا يرجع تاريخها إلى ما وراء أربعة قرون من الزمان مضت ، نجد أن الشريعة الإسلامية قبل أربعة عشر قرناً من الزمان قد تضمنت أحكامها كل ما توصل إليه الفقه القانوني الوضعي من المبادئ والأسس التي تقوم عليها الفلسفة الدستورية ، فقد اهتمت أحكام القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول للشريعة بوضع القواعد العامة التي تحكم حياة الناس في شتي ضروبها دون الخوض في تفاصيل دقيقة ، إنما تركت مسألة التفاصيل

خالد العسلي عن علي المدائني ومقال أكرم العمري عن موسى بن عقبة ، وال الحاجة شديدة إلى القيام ببحوث دقيقة أخرى تتناول بقية رواد المغاري .

(١٧) جمع الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي مرويات عروة ونشرها مؤخراً .

(١٨) الخطيب : تاريخ بغداد : ٢٣٠/١٢ .

(١٩) ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٢٢٥/٩ .

(٢٠) سير أعلام النبلاء : ١١٥/٦ .

(٢١) المصدر السابق : ١١٧/٦ .

(٢٢) الخطيب : الجامع لأخلاق الرأوي وأداب السامع : ص/٢٢٥ .

(٢٣) سير أعلام النبلاء : ١١٥/٦ - ١١٦/٦ . (٢٤) أنساب الأشراف : ١١٢/١ ، ٣٥١ .

(٢٥) سير أعلام النبلاء : ٦/٧ .

(٢٦) المصدر السابق : ١٣٩/٧ .

(٢٧) المصدر السابق : ١١٦/٦ .

(٢٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء : ١٤١/٧ .

(٢٩) راجع ابن حبان : المกรوحين : ٦٠/٣ ، والتاريخ الكبير للبخاري : ١١٤/٨ ،

وتاريخ بغداد للخطيب : ٤٢٧/١٣ ، والذهبى : سير أعلام النبلاء : ٤٤٠-٤٣٥/٧ ، وابن

حجر : تهذيب التهذيب : ٤٢١-٤٢٠/١٠ .

(٣٠) ابن النديم : الفهرست : ٢٨٢ .

(٣١) الاصابة : ٢٤٢/١ .

(٣٢) الخطيب / تاريخ بغداد : ٣١٤/٩ .

(٣٣) الفهرست لابن النديم : ص/١١٢ .

(٣٤) انظر : ترجمتهم في الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم : ٢٦٠/٢ ، وتاريخ بغداد :

٢٣٠/١٢ ، وتهذيب التهذيب : ٦٣/٨ ، و : ١٧٢/٥ ، و : ٣٨٨/٦ ، و : ٢٩٣/١١ ،

وتاريخ التراث العربي : ٤٥٦/٢ .

وقوله تعالى : « فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » (٢٥).

وفي مجال المعاملات جعلت أحكام الشريعة عنصر الرضا أساساً لعقود المعاوضات المالية وذلك في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونْ تِجَارَةً عَنْ تِرَاضٍ مِّنْكُمْ » (٢٦).

وعن العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول غير الإسلامية المجاورة ، يقول الله تعالى : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الظَّالِمِينَ يَقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الظَّالِمِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُولُوهُمْ وَمَنْ يَتُولَّهُمْ فَأُولَئِكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ » (٢٧).

وفيمالي نستعرض بعض المبادئ التي تهتم الدساتير الوضعية الآن بتضمينها في نصوصها لتنزيهها كيف وردت أحكامها في نصوص الشريعة منذ عدة قرون سبقت ظهورها في الفقه الدستوري الوضعي .

١- الشرعية وبداية السيادة:

تنص الدساتير الوضعية على أن السيادة في الدولة للشعب ، وببعضها يجعلها للهيئة البرلمانية أو للمجلس الرئاسي الحاكم ، ومفهوم السيادة في الفكر الدستوري الوضعي أن ما يصدره صاحب السيادة يكون قانوناً ملزماً لكافة أفراد الشعب ، عليهم طاعته والانصياع لأمره سواء ارتضوا ذلك أم رفضوا .

لتحكمها ملابسات ومتطلبات حياة الناس من مكان لمكان ومن زمان لزمان في إطار تلك النصوص القرآنية .
لذا نجد أن أحكام الشريعة الإسلامية وبالتالي بنود الدستور الإسلامي تختص بالمرونة والصلاحية لكل زمان ومكان والشمول بحيث إن هذه الأحكام وضعت المبادئ الأساسية لمتطلبات البشرية في شتى ضروبها المختلفة ، وقد جاءت هذه الأحكام ، كما أسلفت ، بصورة إجمالية دون التعرض إلى التفاصيل الدقيقة التي تتعلق بأشياء قد تختلف تبعاً لاختلاف الزمان والمكان ، وذلك تحقيقاً لخواص الدستور الإسلامي المذكورة آنفاً .

فجاء عن مبدأ العدالة قول الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدِوُ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (٢١) وعن الشورى قال الله تعالى : « وَشَارِهِمْ فِي الْأَمْرِ » (٢٢) وعن المساواة بين الناس أسودهم وأبيضهم ، العربي منهم وغير العربي ، الرجل منهم والمرأة ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ » (٢٣) وفي مجال الجنایات بينت أحكام الشريعة جرائم معينة وضفت لها عقوبات ثابتة بحيث لا يجوز إسقاطها أو زيادتها أو نقصانها أو استبدالها بعقوبات أخرى ، وهذه ما تسمى اصطلاحاً بجرائم وعقوبات الحدود ، وعن السياسة العقابية ، قال الله تعالى : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَقْبَتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَرَبْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » (٢٤) ،

هذه الآية أن الحكومة في المفهوم الدستوري الإسلامي ، ليست حكومة سيادة إنما هي حكومة خلافة ، لأن السيادة لله تعالى وينوب عنه فيها في الأرض عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالإمام أو أمير المؤمنين أو الرئيس إذن هو خليفة الله في الأرض عهدت إليه مسؤولية تطبيق شرع الله الذي له ملکوت السماوات والأرض ابتداءً وانتهاءً .

٢- الشريعة في مبدأ العدالة :

إن إشاعة العدل بين الناس ، من المبادئ الرئيسية التي تضمنتها رسالات الرسل والأنبياء ، وفي هذا يقول الله تعالى : « لَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا النَّاسُ بِالْقَسْطِ » (٣٣) .

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة دالة على أهمية العدالة وأمرة لرسول الله ﷺ بإقامة العدالة حتى يضع عن طريق ذلك جهازاً قضائياً راسخاً وأسسأً قانونية ثابتة تكون نبراساً تسير على هديه أمته في مختلف عصورها ، ومن ذلك قول الله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا » (٣٤) .

هذا وقد امتد الأمر بإقامة العدالة لكافة الناس ، فعلى القاضي اتباع نصوص الشرع وإصدار كلمة الحق دون محاباة أو خوف من رئيس أو أمير أو سلطان أو غيرهم من ذوى النفوذ ، وعليه إحقاق العدالة ولو كان ذلك على نفسه أو ضد أحد أقربائه أو أصدقائه ، وفي هذا يقول الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (٣٥) ، قوله تعالى : « وَلَا يَجْرِي مِنْكُمْ

أما في الشريعة الإسلامية فالسيادة لله سبحانه وتعالى لأنه تعالى - جل شأنه خالق السماوات والأرض وما عليها من كائنات ، وهو مدبر ومصرف الأمور فيما ورازق ما عليهم من مخلوقات حية ، وقد نصت كثير من الآيات القرآنية على أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون ومالكه ومصرف شئونه ، ومن ذلك قول الله تعالى : « قُلْ اللَّهُمَّ مَاكَ الْمَلَكُ تُؤْتِي الْمَلَكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الْمَلَكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءُ بِيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٢٨) ، قوله تعالى : « إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمُ » (٢٩) ، قوله - عزوجل - : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ » (٣٠) .

كل هذه الآيات وغيرها تدل دلالة قاطعة على أن السيادة في المفهوم الشرعي لله سبحانه وتعالى ، لأنه رب الخالق ، المدبر ، المهيمن ، المالك ، والمسيطر على ملکوت السماوات والأرض ، ويقوم بتصریف هذه السيادة التي تتمثل أصلاً في تحكيم شرع الله وكلمته ، الرسل الذين بعثهم الله تعالى لتبلغ رسالاته وما تتضمنه من الأمر والنهي والثواب والعقاب ، وفي هذا يقول الله تعالى : « يَا أَدَوْدُ إِنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوْيَ فَيَضْلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » (٣١) .

وكما يمثل سيادة الله في الأرض رسالته يمثلها أيضاً عباده الصالحون ، وفي هذا يقول الله تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفُوكُمْ كَمَا اسْتَخْلَفْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » (٣٢) ، تؤكد

وفي آية أخرى توجه الخطاب إلى الرسول ﷺ بإقامة الشورى لوضع حجر الأساس لهذا المبدأ الهام الذي على أمته اتباعه واقتداء أثره فيه، قال الله تعالى : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَغْلًا غَلِيظَ الْقُلُوبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر (٣٩) فالامر هنا بإقامة الشورى ليس قاصراً على النبي ﷺ إنما يتوجه الخطاب بالأمر لعامة المسلمين في مختلف العصور ، إذ أن الأمر والخطاب هنا توجه للنبي ﷺ بفرض التشريع للأمة الإسلامية .

وعليه مهما طبقت الدولة أحكام الشريعة ، لا يمكن وصفها بأنها دولة إسلامية ، ما لم ت العمل بمبدأ الشورى ابتداءً من اختيار الإمام أو رئيس الدولة وغيره ممن يتولى المناصب القيادية الأخرى .

إن مبدأ الشورى في الإسلام يقابله في نظم الحكم الوضعية الحالية ،
النظام الديمقراطي سواء كان ديمقراطياً رئاسياً أو برلمانياً مع بعض
الفوارق ، إذ أن الحكومة التي تقوم على مبدأ الشورى تختلف عن
غيرها من نظم الحكم الأخرى ديمقراطية كانت أم دكتاتورية أو ملوكية.

فحكومة الشورى التي تقوم وتأخذ اسمها من التشاور بين المسلمين، عبر مجلس الشورى في كافة شئون الدولة ، واحترام حقوق الأقليات الأخرى ، ويتم اختيار الإمام أو رئيس الدولة فيها عن طريق الاختيار المباشر بواسطة عامة أفراد الشعب أو من ينوب عنهم من أعضاء مجلس الشورى ، تختلف هذه الحكومة عن الحكومات الدكتاتورية مدنية كانت أو عسكرية ، لأن الدكتاتورية تعني تمركز السلطات في يد فرد واحد يفعل ما يشاء غير أنه بغيره ، ولا يحق لأي

شنان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ﴿٣٦﴾ ، قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقُسْطِ شُهْدَاءَ لِلَّهِ﴾ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِهِمَا﴾ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهُوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَأَنْ تَلُوُوا أَوْ تَعْرُضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ﴿٣٧﴾ .

إن تحقيق العدالة في نظر الشريعة الإسلامية ، من أهم واجبات الدولة لأن الدولة التي لم يكن هناك عدل وإنصاف في تصريف شئونها ، لا يمكن أن تكون هناك عدل بين مواطنيها .

٣- الشريعة وبدل الشوري:

إن مبدأ الشورى من أميز مقومات نظام الحكم في الإسلام ، الذي يميشه عن غيره من نظم الحكم الوضعية ، لأن الدولة أيا كان نوع حكمها لا يمكن وصفها بأنها دولة إسلامية إلا إذا تحقق فيها أمران ، أولهما : تطبيق أحكام الشريعة تطبيقاً كاملاً في كافة مجالات الحياة الدستورية ، القانونية ، التعليمية ، الثقافية وغيرها ، ثانيهما : مراعاة مبدأ الشورى واعتباره أساساً للحكم ، إذ لا يجوز لولي الأمر أو أي مسئول كان أن يتخذ قراراً دون أن يستأنس برأي غيره ويستشير ذوى الخبرة في ذلك ، هكذا كان حال المسلمين في المدينة في الصدر الإسلامي الأول إلى أن مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم قائلاً : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شوري بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٣٨) .

تختلف الحكومة الإسلامية عن نظام الحكم هذا ، لأن تولي المناصب القيادية الإدارية منها والقضائية وغيرها تحت حكومة الشوري يعهد بها من توفر فيه الأهلية والشروط المطلوبة لتولي ذلك المنصب دون تمييز بين طبقة رجال الدين وغيرها من طبقات المجتمع الأخرى ، إذ ليس في الواقع أي نظام طبقي في الشريعة الإسلامية ، إذ كل الناس سواء ولا تفاضل بينهم إلا بالتقى والعمل الصالح ومخافة الله تعالى ، وفي هذا يقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى ۖ وَجَعَلْنَاكُمْ شَعوبًا وَّقَبَائِلَ لِتَعْرَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ » (٤٠) . [يتبع]

الهوامش :

- (٢١) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .
- (٢٢) سورة آل عمران : الآية : ١٥٩ .
- (٢٣) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .
- (٢٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٦ .
- (٢٥) سورة البقرة ، الآية : ١٩٤ .
- (٢٦) سورة المطفنة ، الآيات : ٩-٨ .
- (٢٧) سورة يوسف ، الآية : ٤٠ .
- (٢٨) سورة آل عمران ، الآية : ٢٦ .
- (٢٩) سورة الناس ، الآيات : ٣-٢-١ .
- (٣٠) سورة النور ، الآية : ٥٥ .
- (٣١) سورة ص ، الآية : ٢٦ .
- (٣٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٥ .
- (٣٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٩ .
- (٣٤) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .
- (٣٥) سورة المائدة ، الآية : ٩ .
- (٣٦) سورة النساء ، الآية : ١٣٥ .
- (٣٧) سورة الشورى ، الآية : ٣٨ .
- (٣٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .
- (٣٩) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

مواطن ابداء مجرد الرأي في أي أمر كان ، بل من يفعل ذلك يلقى العقاب الصارم .

وحكومة الشوؤي تختلف عن الأنظمة الديمقراطية رئاسية كانت أم برلمانية ، لأن النظم الديمقراطية سواء كانت متعددة الأحزاب أو ذات حزب واحد ، تكون الحكومة فيها متحيزة دائمًا لجانب حزبها ومؤيديه أكثر من غيرهم من أفراد الشعب الآخرين الذين قد يحرمون حتى من حقوقهم الأساسية ، إذ تقوم حكومة الشوري الإسلامية على مبادئ أساسية منها العدالة والمساواة بين كافة أفراد الشعب من غير تمييز لجنس أو لون سياسي أو مكانة اجتماعية ، فالكل سواء من حيث الحقوق والواجبات .

وتختلف حكومة الشوؤي عن نظام الحكم الملكي لأن نظام الملكي يحصر الحكم فيه في أسرة واحدة فقط يتولاه الأبناء والاحفاد عن الآباء والأجداد عن طريق الوراثة ، ولا يحق لأحد من المواطنين أن يطالب أو يسعى لتولي الحكم ولو كان أهلاً لذلك ، لأن كل الشعب عبارة عن رعايا ملوكين وليسوا شركاء متساوين في الحقوق والواجبات ، بل عليهم السمع والطاعة طوعية وكرها .

كما تختلف حكومة الشوري عن الحكومات ذات الصبغة الدينية الصرف بحيث يكون الحكم فيها قاصراً على طبقة رجال الدين دون سواهم ، كان هذا النظام من الحكم سائداً في الفكر الكنسي المسيحي عند ما كان للكنيسة باع طويلاً في شئون الحكم .

وأصبح هذا الصراع الخيالي بين العلمانية والاتجاه الإسلامي موضوعاً للصحافة الغربية ، فهي تفخر أي حادث أو بيان ، لزعيم لادانة الحكومة التي تعتبرها إسلامية الاتجاه ، وإن كانت هذه الحكومة تسير في برامجها بكل حذر ، وتحفظ ، وحكمة ، وقناع ، وتتجنب إشارة ردود فعل ، أو تذمر شعبي ، وتستمر العلاقات بين الحزبين المختلفين ، وقد وفق رئيس الوزراء التركي الذي عرف في حياته السياسية بحكمته وتدبيره ، واعتداله في إقامة الجسور بين الوزارة ، والجيش والرئيس من جهة وبين الفريقيين من الحكم ، وعالج قضايا كثيرة كانت تهدد سلامة البلاد ، وتحسن في عهده الحالة الاقتصادية وخفت حدة التوتر بين الاتراك والأكراد ، وكان حقيقةً بأن ينوه به ، ويشارد بطريقه الوسط ، الذي إن وفق كان أداة لحل الأزمات السياسية التي تهدد العالم الإسلامي كله بالصراع بين العلمانيين والإسلاميين ، وكان ذلك من مصلحة أوربا أيضاً التي لها صلات بالعالم الإسلامي اقتصادياً ، وسياسياً ، وثقافياً ، فإن المواجهة التي اختارتها أوربا بالنسبة للاتجاه الإسلامي لم تخدم مصلحة أوربا، بل زادت من عداوة الشعوب الإسلامية لها ، أكثر مما كانت في عهد الاستعمار .

الغريب في الأمر أن أوربا التي تدعو إلى حرية الفرد ، وحرية الشعوب ، والنظام الديمقراطي ، وتعتبر نفسها رائدة لهذه الحرية ، تسلك سياسة القمع والكبت والقهر ، إذا كانت القضية تتعلق بالعالم الإسلامي ، إنها تدعو إلى عدم التدخل في الشئون الداخلية عالياً ، ولكن

الأستاذ واضح رشيد الندوى

صور وأوضاع :



من عادة الوكالات الإعلامية الأوربية أن تصور للقراء تصاعد التأزم وتطور نوع من المواجهة المستمرة بين الجيش التركي ، وحكومة نجم الدين أربكان المتحالفه مع حزب تانس و

تشيلر ، وقد ذكرت مجلة إكونومست أخيراً أن الجيش وجه إنذاراً إلى الرئيس التركي ، وإلى الحكومة الائتلافية بأن الجيش لا يستطيع أن يلازم الحياد إذا نفذت الحكومة الإجراءات الإسلامية ، وخاصة الحجاب ، فإنه لن يكون مقبولاً لدى الجيش الذي يعتبر نفسه حامياً للعلمانية الكمالية ، وأفادت المجلة بنشوب صراع في بعض الأماكن بين العلمانيين والإسلاميين .

وكذلك أبرزت خطورة العلاقات الودية التي يجتهد أربكان إنشاءها مع الدول الإسلامية المجاورة لتركيا ، وتفكير الحكومة في إتاحة الفرصة للصلة ، خلال العمل الرسمي ، كما اعترضت هذه الجهات على مأدبة الإفطار في رمضان من قبل الحكومة وأثيرت القضية في المحكمة .

موقفه إزاء الأحداث في الدول الأخرى ، ولا يدل ذلك إلا على الطبيعة الصليبية التي كانت عنصراً فعالاً في معالجة القضية التركية في أعقاب الحرب العالمية ، ويفيد أن هذه الطبيعة تستمر ، ولا تزال مسيطرة على الدول الأوروبية .

لقد ظهرت أخيراً بعض التحليلات من عدد من قادة الفكر في أمريكا وبريطانيا خاصة ، تدعوا إلى إعادة النظر في سياسة المواجهة مع الحركة الإسلامية ، فإن هذه السياسة في الواقع عملت في تقوية صلب الحركة الإسلامية ، وتوسيع نطاقها ، وصعدت من كراهية الشعوب الإسلامية للدول الأوروبية ، وعرضت مصالحها للخطر ، ولا تزال الدول التي تحارب الحركة الإسلامية في حالة حصار ، وتخسر شعبيتها بمر الأيام ، ودعا هؤلاء المفكرون إلى التصالح مع هذا العنصر ، واحترام رأي الأغلبية في الدول الإسلامية التي تميل إلى الإسلام ، وقد فقد هؤلاء المحللون نظرية هستنكتن للصراع بين الحضارات ، فإن هذه النظرية هي روابسب عهد الاستعمار ، والاستعمار نظرية قديمة مهجورة .

إن هذا الموقف التحييز والمعارض للشعوب الإسلامية سيؤثر على المصالح الاقتصادية والتجارية في المستقبل .

لم يكن تركيا البلد الوحيد الذي تمارس فيه أوروبا السياسة المزدوجة بل كانت الجزائر فريسة لهذه السياسة في السابق ، وكذلك تجري ضغوطها على الحكومات القائمة في دول العالم الإسلامي الأخرى لقمع الاتجاه الإسلامي الذي أصبح اتجاهًا شعبياً ، وبلغ حد حرب

تخلق الأعذار للتدخل في الشئون الداخلية ، إذا كانت المسألة لها صلة ببلد إسلامي ، سواء كان هذا التدخل عن طريق قادة الجيش الذين نالوا التربية والتوجيه في الدول الأوروبية ، أو بعض الزعماء المغامرين الذين ليست لهم شعبية ، ولا يحملون صلاحية تميزهم عن غيرهم ، لفرض سلطات غير دستورية ، ولا تعتبر ذلك مخالفًا للدستور ، ولا يسوءها إلغاء الدستور أو تعطيل الدستور إذا كان لقمع الشعوب الإسلامية وصيانة المصالح الأوروبية .

تلجأ الدول الأوروبية بالنسبة إلى الأحداث في تركيا إلى الدستور العلماني ، وتبرز القوانين الجمعية التي نفذها كمال لضغط الظروف الحرجة التي عاشت فيها تركيا إثر الحرب العالمية ، وأصبح هذا الدستور مقدسًا في نظرها لا يؤثر فيه مرور هذه المدة الطويلة التي تغيرت فيها الدساتير في دول العالم المختلفة ، وتخلت دول عديدة عن الإجراءات القاسية ، وتغيرت الأوضاع في دول كثيرة في أوروبا وأسيا ، إنها تعتبر الدستور الكمال والعلمانية الكمالية أكثر قداسة من الأديان السماوية فإنها قابلة للإصلاح ، وهي تدعوا إلى إصلاحها ، وكذلك تقوم بتعديلات في الدستور ، ولا تستطيع الحكومة المنتخبة بالطرق الدستورية في تركيا أن تفسرها بأي بند من بنودها تفسيراً جديداً فضلاً عن تغييره ، ولا قيمة فيه لإرادة الشعب ، ورغبته ، وطموحه ، ولابد من صيانة هذا الدستور حسب فهم الدول الأوروبية ، وقمع اتجاه الشعب .

إن موقف الإعلام الغربي إزاء الأحداث في تركيا يتعارض مع

العلامة عبد الفتاح أبو غده -

في رحمة الله تعالى

إلى رحمة الله تعالى :

قلم التحرير

فقد العالم الإسلامي في شهر شوال ١٤١٧هـ شخصية فذة من شخصيات العلم والدين ، وهي شخصية العلامة الشيخ عبد الفتاح أبي غده ، الذي لمع اسمه في أوساط العلم والعلماء في العالم الإسلامي وخارجها على السواء ، وعرفه الناس عالماً كبيراً ، ومحدثاً عملاً ومحقاً جليلاً منذ عقود من السنين ، وعرفوه كقائد ديني وداعية إسلامي كبير في الشام والعالم العربي والإسلامي كله. استأثرت به رحمة الله في ٨ من شهر شوال ١٤١٧هـ الموافق ١٦ من شهر فبراير ١٩٩٧م في مدينة الرياض حيث كان يُقيم من مدة طويلة ، ويقوم بواجب التدريس والإفادة والتحقيق والشرح لعلم الحديث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي استفاد طلابها منه علماً غزيراً ، وذوقاً تحقيقياً ، ونظرة فاحصة في العلوم الإسلامية ، وكان محبياً لديهم ، وأثيراً في جميع الأوساط العلمية والدينية والتربيوية ، التي كانت تعتبره مرجعاً في علم الحديث وأسماء الرجال ، فإننا لله وإن إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم من أبناء مدينة حلب التي أنجبت أفتذاً من علماء الحديث والعلوم الإسلامية ، وحلت محل المراكز العلمية الكبرى في العالم الإسلامي ، كان الفقيه ذا صلة قوية بعلماء الحديث في الهند ، وقد عكف على مؤلفات الإمام عبد الحي الفرنجي محلى الكنوي ، وحققها وعلق عليها ، وأخرجها في حلقة قشيبة تحملت بها المكتبة الإسلامية ، واستفاد منها العلماء والطلاب جميعاً ، وكانت علاقته قوية مخلصة مع سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي وجامعة ندوة العلماء التي شرفها بزيارته مرات عديدة ، وفي عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دُعي إلى إلقاء محاضرات في علم الحديث في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء ، كانت أيام مشهودة يسودها جوًّا من العلم والدراسة والتحقيق .

وصل نبأ وفاته إلى ندوة العلماء وفوجئ به سماحة العلامة الشيخ الندوى فحزن ، وحزن الجميع على هذا المصائب والخسارة العلمية البالغة ، وأرسلت

الإسلام بذاته ، ومنهج العبادة الإسلامي ، وإن الشعب المسلم يتحمل كل شيء ، لكن غيرته لدينه ، وحساسيته له معروفة لا تعده فيها أمّة أخرى ، وقد أخطأ أمم كثيرة في معرفة هذه الحساسية فأحدثت أضراراً بعيدة المدى ، ومرارة لا تزول قروناً .

لقد جرب العالم الإسلامي أن العلمانية سلاح لقمع الإسلام وحده ، فإن علمانية الشعوب غير الإسلامية مشوبة بالنزعنة الدينية ، والاتجاه الديني لأغلبية تلك الشعوب يتجلّى في كل مظهر ، وكذلك التقديمية سلاح آخر لقمع الإسلام فإن تقدمية الشعوب الأخرى لا تتعارض مع ثقافتها التقليدية ، ولا تنحرف عن تاريخها العتيق ، بل يجري العمل فيها لاحياء التراث ، والتاريخ القديم ، وتذكير الأمجاد ، أما تقدمية الدول الإسلامية فهي تقدمية رجعية ، تقبل فيها الاقطاعية ، والخلف والجمود ولا تلاحظ التقديمية فيها إلا في الإباحية الخلقية والمظاهر الثقافية ، ويفرض فيها الحظر على التقدم العلمي ، والتقني ، والاقتصادي ، وبقيت فيها هذه المؤسسات كما كانت في عهد الاستعمار ، إنها تقدمية من غير تقدم .

إن أوروبا ليست بقدوة صالحة في العلمانية فإن انحيازها إلى النصرانية ، ثم اليهودية معروف تجلّى في جميع مواضع معالجة القضايا العالمية ، وإن الاشتراك العملي للدول الأوروبية في الجمعيات التبشيرية ، وتمويلها لمشاريع المستشرقين ، وحمايتها لها أمر لا يخفى على أحد ، وإن محاربتها للإسلام ليست على أساس التصور العلماني ، بل تقوم على أساس تصور عداء الإسلام الذي ورثته من الأجيال الماضية ، كذلك فضحت أوروبا في دعوتها للتقديمية ، عندما فرضت قيوداً أو عقوبات على الدول الإسلامية التي حاولت تطوير قدرتها الصناعية ، ورفع مواردها الاقتصادية ، وأجبرتها على الاعتماد الكامل على الدول الأوروبية ، ولهذه السياسة الرادعة لم يستطع أي بلد إسلامي تطوير صناعته ، بل يعيش كل بلد وإن كان في مقدمة المقلدين لأوروبا في حالة ضيق اقتصادي ، وعجز صناعي ، ولا تستثنى منه تركيا ، ولا مصر ، والدول العربية التي قبلت سيادة أوروبا ، وتقليلها قبل قرونين .

رسالة تعزية بالفاكس إلى أنجاليه ، وعقد في نفس اليوم حفل تعزية حول الحادث في مسجد دار العلوم ، تكلم فيه سماحة العلامة الشيخ الندوي وأبدي انطباعاته الحزينة على الحادث المفاجئ وقال :

"إن وفاة العلامة عبد الفتاح أبو غده خسارة كبيرة لعلم الحديث وطلابه وللأوساط العلمية ، ولا سيما في عصر قل فيه علماء الحديث والمحدثون البارعون ، وإنني اعتقد أنه لا يوجد له نظير في العالم الإسلامي كله في هذا الشأن".

وتحدت فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي مدير جامعة ندوة العلماء في الحفل فقال :

"لم يكن العلامة عبد الفتاح أبو غده محدثاً ممتازاً فحسب بل وكان مربياً كبيراً وداعية جليلًا ، كان حجة في علم الحديث فليست وفاته خسارة للعلم وحده ولكنها خسارة الدين كذلك".

وتحدت فضيلة الأستاذ الشيخ سلمان الحسيني الندوي ، تلميذ الفقيد ، فقال : "إن شيخنا الراحل كان مع تبوئه منصب التحديد محققاً ممتازاً ، وكان يجمع بين العلم والدعوة وال التربية ، حدث بوفاته فراغ كبير في عالم الدراسة والتحديد والتحقيق".

وفقه لله تبارك وتعالى إلى تأليف الكتب النافعة وتحقيقها والتعليق عليها ، وقد خلف ما يقارب سبعين كتاباً من تأليفه ، نشر منها خمسون في حياته ، وخمسة عشر منها مائلة للطباعة ، والباقي لا يزال في شكل المسودات الخطية ، كما أنه ترك وراءه جماعة كبيرة من تلاميذه العلماء والمحدثين ، والمعجبين به ، وأسرة حافلة بالأهل والأقارب ، والأخوة في الدين .

رحمه الله رحمة واسعة وأغدق عليه شبابه رحمته وجعله من عباده المقربين وفي أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً . وقد دُفنت في البقيع

إصدارات جديدة :

قلم الحرر

* * الخطاب البلغ *

لقد تفضل المسؤولون عن إكاديمية شيخ الهند بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبيند ، بإهداء كتب ومؤلفات قيمة أصدرتها الإكاديمية ضمن برامجها العلمية والتأليفية ، وهذا الكتاب القيم إنما ألفه الإمام الشیخ محمد قاسم النانوتی - رحمه الله - في موضوع علم الكلام ، ومباحثه ومناقبیه الجمة التي تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته المطلقة الكاملة وذاته وصفاته وأقسامها ، وقوة إبداعه وعلاقة جميع ما في الأكونان بذاته تبارك وتعالى . وكل ذلك في قوة بالغة من الاستدلال ، وإقامة البراهين العقلية على الموجودات الظاهرة والمستورة التي هي من صنع الله تعالى ، ومع تفنيد الأقوال لزعماء الديانات السابقة ، وأصحاب الحضارات المادية ، ودعابة الإلحاد والإباحية .

والكتاب باللغة الأردية باسم : "تقریر دل پذیر" وفي أسلوب عميق قد يصعب حتى على أصحاب البحث والتحقيق فهم معانيه وما أورع فيه من أسرار و دقائق مما يتصل بعلم الكلام .

صدرت هذه الطبعة الجديدة لهذا الكتاب بعد ما قام فضيلة الأستاذ عبد الرشيد البستوي القاسمي (عضو مركز المعارف في ولاية آسام - التابع لإكاديمية شيخ الهند) بتحقيقه والتعليق عليه ، ونحن إذ نبارك هذه الخطوة العلمية في مجال إحياء تراث علماء الجامعة ونشر مؤلفاتهم في ثوب قشيب وحلة جميلة، نهنئ القائمين على الإكاديمية على هذا التوفيق الغالي .
وأن الله ولي التوفيق .

أجمل علي القاسمي ، وهو يشتمل على أحاديث : "كيف كان بده الوحي" وكتابي الإيمان والعلم فقط ، وقد بلغ المجلد الأول في ذلك إلى ٤٦٨ صفحة ، مما يدل على ما أودع فيه صاحب الدرس رحمة الله من علوم جمة في علم الحديث ومباحث علمية ومفاهيم عالية دقيقة فيما يتعلق بأحاديث البخاري وطريقته في التحديد .

والكتاب تحفة جميلة قيمة للعلماء والطلاب ولا سيما للذين يدرسون الجامع الصحيح للبخاري ، ويستفيدون منه ، وبحذا لو نقل الكتاب إلى العربية لكي يعم نفعه في جميع الأوساط العلمية والتحقيقية في العالمين الإسلامي والعربي ، وعسى أن توفق إكاديمية شيخ الهند إلى ذلك في مستقبل قريب - بإذن الله تعالى - .

*** * التسامح في الإسلام *

وهذا كتاب في موضوع التسامح في الإسلام بقلم فضيلة الشيخ اسماعيل الباني بتبي (رحمه الله) نشره مركز المعارف في "هوجائي" بولاية آسام بتحقيق وتعليق فضيلة الأستاذ عبد الرشيد البستوي القاسمي .

والكتاب باللغة الأرديّة وهو يتضمن معنى التسامح في الإسلام ويفسّره بمفاهيمه المعلومة التي قررها الإسلام بالنسبة إلى مفهومه الشائع في الديانات السابقة ، كما قد قام المؤلف الكريم بدراسة مقارنة مع الديانات الأخرى ، وبرهن على أن التسامح من تعاليم الإسلام الاجتماعية التي تقوم بدورها الرائع في بناء المجتمع الأفضل ، وقدّم أمثلة كثيرة من التسامح في سيرة الرسول ﷺ والصحابة الكرام وأتباعهم البررة .

والكتاب جدير بالدراسة ، وحقّيق بأن يترجم إلى لغات الهند الأخرى ، ولا سيما إلى اللغة الهندية ، حتى يكون عوناً في التعريف بالإسلام إلى المواطنين ، وأتباع الديانات الآخرين ، ويكون أدلة للدعوة إلى الإسلام .

* العقل و النقل *

هذا الكتاب من مؤلفات العلامة الكبير الشيخ شبير أحمد العثماني - رحمة الله - ، أصدرته إكاديمية شيخ الهند المذكورة أعلاه ، باللغة العربية ، وكان أصله باللغة الأردية ، فقام فضيلة الأستاذ عبد الرشيد البستوي القاسمي ، بنقله إلى العربية الفصحى .

والكتاب يتحدث عن العقل السليم الذي لا يعارض النقل الصحيح لأمور الدين الحق مما يتعلق بالعقائد ، وأحكام الشريعة ، وقد قام بمحض أباطيل الجهلة الأعداء ورد الشبهات التي أثيرت حول الإسلام ، من قبل المشككين والحاقدين عليه ، والكتاب يحتوي على مباحث كلامية جيدة بأسلوب رائع سائغ يحتاج إلى دراسته علماء العالم الإسلامي والثقفون منه ، وطلبة العلوم الإسلامية وأساتذة الجامعات في كل مكان .

لقد قام المترجم الكريم - بتوفيق من الله - بنقل الكتاب إلى العربية بعبارة جميلة ، وأدب واضح ، وأسلوب مبين ، قد لا يشعر القارئ الكريم ، بأن الكتاب ترجمة ، ما لم يُنبه إلى ذلك ، فجزاه الله خيراً عن الإسلام وعلومه ، وتقبل منه عمله ، فإنه سميع مجيب .

*** * درس البخاري *

تلقينا هذا الكتاب هدية من مركز المعارف في مدينة "هوجائي" بولاية آسام ، التابع لإكاديمية شيخ الهند بدبيوند ، والكتاب مجموعة لدروس شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدنى - رحمة الله - ، التي ألقاها أمام طلاب الحديث بالجامعة الإسلامية حول الجامع الصحيح للإمام البخاري ، خلال تبوئه مشيخة التحديث في الجامعة الإسلامية دار العلوم ديبوند ، قام بتدوينها وتعليق عليها فضيلة الشيخ نعمة الله الأعظمي أستاذ الحديث الشريف بالجامعة ، وسيتم الكتاب في مجلدات كثيرة ، وأمامنا الآن المجلد الأول الذي أصدره مركز المعارف بولاية آسام لصاحبها فضيلة الشيخ بدر الدين

ال المناسبة ، والشخصيات البارزة التي شرفت الندوة وأسهمت فيها ، ومن بينها شخصية العلامة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي ، والبروفيسور خليلق أحمد النظامي ، وأكَّدَ أن هذه الندوة لم تعقد إلا بفضل من الله تعالى ، وجهود البروفيسور النجراوي المخلصة .

وقد حضر الندوة فضيلة الأستاذ السيد أحمد بن عبد الرحمن الخليفة ، الملحق الديني بسفارة المملكة العربية السعودية في الهند ، نيابة عن معالي الشيخ الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي ، وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، وألقى كلمة الوفود ، جاء فيها : "موضوع الملتقى شخصية جامعة لها إسهامات رائدة في مجالات العلم والعمل ، والدعوة والفكر ، والإصلاح والتربية ، ولهذه الشخصية مآثر علمية في جميع هذه المجالات .

إن معرفتي بهذه الشخصية الفذة محدودة ، أقول محدودة لأنني اكتشفت شخصية العلامة الشريفي عبد الحي الحسني في دراستي متأخراً ولم تتح لي فرصة للدراسة العميقه واستقصاء جميع ما أله ، وما خلفه من مآثر ، فإنه لم يكتب في العربية وحدها ، بل له مؤلفات قيمة في اللغة الأرديه لا تقل قيمة وتنوعاً مما أله بالعربية ، ولم تتح لي فرصة لدراسة جميع ما أله بالعربية ، ولكنني أقول بمعرفتي المحدودة ، إنه شخصية فذة يتميز بالجمع المتنع ، أقول الجمع المتنع على غرار السهل المتنع ، لأن هذا الجمع الذي هيأه العلامة عبد الحي الحسني ، هو في الواقع جمع ممتنع ، فإنه أديب بالعربية وأديب بالأرديه ومؤرخ وناقد وطبيب ومصلح ومعلم ومربي وزعيم اجتماعي ، وأديب بالأرديه ومؤرخ وناقد وطبيب ومصلح ومعلم ومربي وزعيم اجتماعي ، ومفكِّر ، وله كتابات في جميع هذه الموضوعات ، وفوق ذلك أنه كاتب موسعي ، يشهد بذلك كتابه : "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" وكتاب : "الثقافة الإسلامية في الهند" وكتاب : "الغناء في الإسلام" و "تهذيب الأخلاق" ، وكل كتاب من هذه الكتب له موضوع وله أسلوب ، ومنهج خاص للبحث ، وأعتقد أن كتابه الإعلام ، كتاب جامع ، فهو كتاب أدب أيضاً بجانب كونه كتاباً في التاريخ لأنسوبه المميز ، وإذا درسه أحد لمجرد الفائدة الأدبية لم يخرج

* ندوة علمية حول :

حياة العلامة الشريفي السيد عبد الحفي الحسني

عقدت أكاديمية أردو لولاية أتراباراديش ، بقيادة البروفيسور يونس النجراوي ندوة علمية حول حياة ومنجزات العلامة الشريفي السيد عبد الحفي الحسني مدير ندوة العلماء الأسبق (والد سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي) وذلك في ١٦-١٧/٣/١٩٩٧ ، المصادف ٦-٧/٢ من ذي القعدة ١٤١٧هـ ، حضرها المندوبون من العلماء والمثقفين والمسؤولين عن المؤسسات العلمية في الهند وخارجها .

عقدت الندوة تحت رئاسة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي والبروفيسور السيد خليلق أحمد النظامي رئيس قسم التاريخ الإسلامي بجامعة عليكره سابقاً ، في قاعة الإكاديمية في غومتي نغر في لكناؤ .

افتتح الندوة رئيسها البروفيسور يونس النجراوي بكلمة قيمة قوية تحدث فيها عن تاريخ الهند العلمي والديني والاجتماعي والسياسي وعن الشخصيات البارزة التي أثرت تاريخ الهند وأثرت في مناحيه المختلفة ، وذكر الجهود التي كانت تضاد طبيعة هذه البلاد ، وتحاول تأخير عجلتها إلى الوراء ، كما أنه أشار إلى الجهود البناءة التي قام بها بُناء هذه البلاد من المصلحين والمثقفين والمفكرين والسياسيين والعلماء والداعية الذين أنجزوا أعمالاً وخدمات جليلة في جميع مجالات الحياة والمجتمع ، وخلدوا آثاراً باقية تخلد في التاريخ على مر الأيام ، وكان من بينهم العلامة الشريفي السيد عبد الحي الحسني الذي رفع رأس الهند عالياً بإنجازاته العلمية وأثاره الثقافية وأفكاره النيرة ، وأدبه الرائق الرائع الجميل .

وقد صرَّح البروفيسور النجراوي بأن شخصية العلامة الشريفي الحسني من أجدر الشخصيات التي تعقد حولها ندوة علمية بمناسبة العيد الفضي لإكاديمية التي مر على تأسيسها خمسة وعشرون عاماً .

وقد سبق البروفيسور النجراوي نائب رئيس الإكاديمية السيد أطهر نبي بكلمته الجميلة التي أبدى فيها انطباعاته ، نحو هذه الندوة التي عقدت بهذه

خاسراً بل إنه يستطيع أن يتعلم أساليب أدبية متعددة باعتبار وصف الشخصيات المتعددة ، المتميزة" .

وتفصل سماحة العلامة الشيخ الندوى بإلقاء كلمة الرئاسة التي دونها في شكل بحث موضوعي محوري حول شخصية والده العملقة ، العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني ، وقد شمل البحث جميع جوانبه المتميزة ، من الجوانب العلمية والثقافية والأدبية والفكرية ، وحول شخصيته الفذة الممتازة التي لها منة كبيرة على تاريخ الهند العلمي والثقافي ، وألقى ضيف الحفل السيد راجيش بائلت وزير الدولة للشئون الداخلية سابقاً وعضو حزب كونجرس ، كلمة ذات اهتمامات كبيرة بالوضع الاجتماعي والسياسي لهذه البلاد ، وتبعه البروفيسور السيد خليلي أحمد النظامي ، وألقى بحثه القيم الذي وضعه خصيصاً لهذه الندوة حول شخصية العلامة الشريف السيد عبد الحي وحياته وخدماته، احتوى على جميع الجوانب البارزة لحياته ، وذلك في أسلوب تحليلي واقعي ، ولغة فصيحة ، وعبارة بلغة ، استمع إليه الحاضرون بغاية من الإنصات والالتفات.

وقد أدار الحفل الافتتاحي البروفيسور شبير أحمد الندوى بلباقة ومهارة فائقة .

وألقى في الجلسات التالية بحوث قيمة حول الموضوع يربو عددها على عشرين بحثاً بأقلام كبار الأساتذة منهم البروفيسور عبد الله عباس الندوى ، والبروفيسور نثار أحمد الفاروقى ، والبروفيسور محمد راشد الندوى ، والبروفيسور السيد اجتباء الندوى ، والبروفيسور ضياء الحسن الندوى ، والبروفيسور محسن العثماني ، والدكتور السيد قدرة الله ، وكثير من الأساتذة الكبار والشيوخ والعلماء .

وقد اختتم الندوة مساء اليوم ١٧/٣/١٩٩٧ ، حاكم الولاية السيد روميش بهناري بكلمته الممتعة المفيدة .

وبالمناسبة انتهز المسؤولون عن جامعة ندوة العلماء هذه الفرصة ، فعقدوا حفلة استقبال للمندوبين الكرام الذين حضروا الندوة في قاعة شibli النعmani الكبرى ، ونظمت لهم مأدبة عشاء ليلة ١٧/٣/١٩٩٧ في قاعة معهد تحفيظ القرآن الكريم .

إعلان الملكية

- ١ - مركز النشر : مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلامة بادشاه باع لكتبه .
- ٢ - شهرية .
- ٣ - ٤ - الطابع و الناشر : شاهد حسين - هندي - استاف كوارتر دار العلوم ندوة العلامة لكتبه .
- ٥ - رئيس التحرير : سعيد الأعظمي الندوى ، هندي الجنسية .
- ٦ - ملك : مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلامة لكتبه .
أنا الموقع أدناه شاهد حسين أصدق أن التفاصيل المذكورة أعلاه صحيحة
على حد علمي .
- الناشر : شاهد حسين

مارس سنة ١٩٩٧ م